أهداب منتصف الليل

رواية

هدى عامر

اسم الكتاب: أهداب منتصف الليل
النـــــوع: رواية
المـــؤلـــفة: هدى عامر
الناشـــــر: **دار الجنـــدي**
للنشر والتوزيع
٤ش مهدي عبد المنعم - أرض أولاد علام
منطي - شبرا الخيمة - القاهرة الكبرى
تليفون: ٠١٢٢٢٩٥٠٢٩٢ - ٠١١١٩٤٢٩٧٨٠
المدير العام: عاطف الجندي
الطبعـــــة: الأولى
الغـــــلاف: محمد عاطف الجندي

رقم الإيـداع: 2018/10899
الترقيم الدولي: 978-977-843-040-0

محفوظة جميع حقوق

المقدمة

إن الانسان السوى هو الذى يحترم مبادئه وأخلاقه ودينه ، ويحترم الأسرة والصديق والجار وإذا أحب إنسان يكلل حبه بالوفاء والاحترام والعطاء.بطل روايتى أهداب منتصف الليل .. ساقته قدماه وعززها نبض قلبه ليسافر مع صديقه يستجم بعد أن نجح ونال الشهادة العليا بامتياز ورأى فى رحلته من غرائب الحياه ما لا يصدقه عقل ، رأى الحب فى فستان زفاف ملطخ بالدماء ورآه فى جمال نادر ونداء من الأعماق ليرتوى بعد عطش طويل ٠صادفته قصة حب من أنثى يرتجف لها الكيان من روعة جمالها وأنوثتها وغناها ونبرة صوتها ، لا تقاوم إن مسام جلدها عبارة عن جيوش إغراء وياويل من يقع فى براثنها ترتشف منه فورا الحياة باسم المتعة والحب ٠فى حياتنا مخلوقات غير مرئية بشعة مختفية وراء جمال نادر يصعب مقاومته ويتعذر على أى رجل

المقاومة أو رفضها ويا ويل من يقع فى براثن هذا الجمال فأحيانا يصل به إلى الانتحار٠نعم الحب حالة فريدة كشهيق يملأ الصدر بالحياة فى نشوة ومتعة واسترخاء خاصة إذا كان حب صادق نقى متفاهم وفى وضعه الصحيح٠

أهداب منتصف الليل

الأديبة : هدى عامر

إهداء لقرائى

قرائى الأجلاء أهديكم روايتى أهداب منتصف الليل قصة فيها معانى سامية وحرب شرسة بين الخير والشر وكفاح من أجل النجاح والفلاح ، ستشعر وأنت تقرأها أنك تعيشها للبعد الجوهرى فى تسسلسل الأحداث واللامعقول فى التكوين بين أبطال الرواية .إن الظلم جعل من مات عاد .. عاد لينتقم فى أبشع الصور .. استخدمت اللامعقول فى مجريات الدراما وهذا سيجعلك تلتهم السطور لتقف على الحقيقة وسوف ترى المعالجة والصراع والخوف والذعر والحب والهيام والانتقام مشتبكين فى سلسلة واحدة تتسابق مع الاحداث .أهداب منتصف الليل فيها كل ما تريد من شغف واستمتاع وصراع جبار ومشاعل ونيران وطبول ودفوف وتهليل وتكبير وفى النهاية السعادة ستكون لمن ؟

أهداب منتصف الليل

أهداب منتصف الليل

روايتى أهداب منتصف الليل قصة حب فى قالب غريب ساخن تداخلت فيه عناصر من الخيال غير مرئية منتقمة ظالمة وترنحت لها الأبدان وأيضا فيها الشجاعة والإيمان والعشق والإرادة والرجولة ثم تأخذك الحروف الى قصة حب نقية عفيفة وصراع بين الحاضر والمجهول وشجاعة نادرة وثبات على المبدأ والفتك بقوى الشر

بطل الرواية شاب نقى يخاف الله ويحبه ومستعد للموت فى سبيل ذلك، وبين السطور ستجد التضحية والعشق والمقاومة والحرب واللمة والعيلة والانتصار على قوى الشر ، وبين السطور ايضا ستتمتع بنبض العشاق فى مواقف مغرية يهتز لها الوجدان .

كنت أعيش فى بيت كبير عتيق حجراته متعددة واسعة بأسقف مرتفعة تسمح بدخول الهواء النقى بارتياح كبير . تظلل البيت من الخارج مجموعة من الأشجار الغزيرة المتشابكة والتى تصل أوراقها إلى الأدوار العليا بالمنزل وتحتوى على أعشاش كثيرة للعصافير واليمام ، وفى وقت المغرب كانت تسعدنى زقزقة هذه الطيور الجميلة وهى عائدة إلى بيوتها فوق الأشجار التى تحيط ببيتنا .وأيضاً كنت سعيداً بمنزلى هذا وبكل محتوياته وأركانه ونظامه التى كانت تسعى أمى الحبيبة لتجعله فى أحسن صورة ، كذلك كان أبى رجل دين يحترم العائلة والأسرة وعهد الله واسع الأفق صبور طيب القلب . إن أحب شئ فى حياتى هو ذكراهم وطريقة تربيتهم لى ونصائحهم الغالية التى لا أنساها أبداً خاصة قول أمى إياك والغش أو الغدر أو السرقة أو الإهانة لأحد مهما كان . إياك مخالفة عهد الله فهو الباقى لك يا بنى رحم الله أمى ورحم الله أبى وجعل مثواهم الجنة .وتخليداً لذكرى والداى كنت أضع صورة كبيرة لهما فى البهو الكبير هذه الصورة هى كل ذكرياتى وحبى وكلما ضاق صدرى أقف أمام الصورة أقرأ لهم

القرآن وأتمنى لهم الجنة وأدعو لهم بالمغفرة . فقد ربيانى على الفضيلة والأخلاق والتمسك بالإيمان والصبر والرضا بالنصيب . أما حجرتى فكانت فسيحة بها مكتب قديم أضع عليه مجموعة من الكتب العربية والانجليزية والقواميس وأحتفظ بكتب قديمة كان والدى يقرأها كثيراً خاصة كتب الدين والمصاحف وتعليم القيم وأحاديث رسول الله عليه الصلاة والسلام . وفى ركن القاعة توجد بعض المزهريات من النحاس القديم خالية من الزهور تذكرنى بوالدتى وهى تقوم بدعكها بالليمون والرمل حتى تزيد من بريقها النحاسى الجميل . ويتوسط الحجرة سريرى وبجانبه الكومودينو وعليه أباجورة صغيرة بجوارها دورق للماء وكوب ومصحف صغير وعلى أرضية حجرتى سجادة كبيرة منقوشة بنقوش عربية جميلة ، ورغم أنها قديمة عتيقة إلا أنها نظيفة ومريحة للنظر .ومع أنى من أسرة متواضعة الدخل ولم تملك من الدنيا الكثير إلا أنى أحب حياتى ومرتاح البال والضمير وعلاقتى مع الله سبحانه وتعالى طيبة للغاية مطيع له متمسك بالإيمان لأعلى درجة ومؤمن برعاية الله لى فى كل خطواتى وهذا عندى يساوى الدنيا وما عليها أما

باقى المنزل فكان به حجرات ممتلئة بالفرش والموبيليا وحجرة للطعام ومطبخ كبير والعديد من الحمامات فى الأدوار العليا والأدوار الأرضية ويوجد بالسطح بقايا أعشاش الطيور لكنها فارغة فمن كانت ترعاهم ذهبت إلى خالقها لها الجنة بإذن الله . ورغم أنفاس العائلة التى كانت تحيطنى فى هذا البيت إلا أنى كنت أشعر بالوحدة واليتم ونسيت نفسى حتى وصلت لسن الأربعين ومع ذلك كنت وسيماً قوى البنية لى حضور فى كل مكان، عاقلاً حكيماً فى تصرفاتى أخشى الله ناجح فى عملى الذى كلفت به . فقط شئ واحد كان ينقصنى هو أن أختار فتاة من عائلة كريمة على خلق تحترم بل وتقدس الحياة الزوجية ، من نسب شريف ومقبولة الهيئة حلوة العشرة عادلة فى تصرفاتها . ورغم كل ما أنا عليه من أخلاق كريمة فليس لى حظ فى اختيار الفتاة التى أريدها . فكلما أردت أن أتزوج من فتاة وتقدمت لخطبتها وعقد قرانى عليها ، لا أتمكن من إتمام هذا القران وأشعر بضيق فى صدرى ويضطرب فؤادى وتشل حركتى وأريد الفرار من أمام العروس ثم أحل نفسى من كلمتى مع الأسرة وأعود إلى بيتى وأنا فى حالة إعياء

شديد يتصبب العرق من كل جسدى وأنام مريضا لأيام كثيرة ، ليس لى دواء وتكررت خطبتى للعديد من الفتيات وكلما قرب موعد القران يحدث هذا الاضطراب فى سلوكى وأفر من أمام العروس تاركاً ورائى قلباً كسيراً ونفساً حزينة حتى أصبحت أكره نفسى وتصرفاتى، واسودت الدنيا فى عينيَّ وتأكدت أن بى خلل ما ،أو مرض نفسى أو مس شيطانى أو ما شابه ذلك .

وقررت أن أؤجل الزواج أو أصرف نفسى عنه حتى أجد حلاً . لقد أصبحت القرية تتكلم عنى وعن تصرفاتى وبعض الأهل غاضبون وبعض الأسر تخاف أن أقترب منهم أو أطلب يد ابنتهم وجعلتنى هذه المشكلة أبكى متحسراً على عمري الذى يتسرب من بين يدي ولا أعرف لماذا يحدث لى ذلك ، أنا إنسان عاقل مؤمن مهذب لم أؤذ أى إنسان أو أجور على حق أو أسلب مالا لأحد أو حتى أنظر نظرة يحرمها الله . إذاً لماذا هذا ؟ هل كتب علىّ الحرمان من الأولاد وأن يكون لى أسرة كريمة أقضى معها باقى حياتى ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، كل أملى فى الحياة أن أكون أب ولى زوجة تحبنى وترعانى ،تنتظرنى أثناء غيابى وترحب

بى عند عودتى أغلى شئ فى الوجود أن أسمع كلمة بابا وأتناول طعامى مع أولادى ألاعبهم ويلعبون معى أعاونهم فى حفظ دروسهم وأحيطهم برعايتى وحنانى . ومسحت دموعى وذهبت لأتوضأ وأقرأ بعض آيات القرآن الكريم حتى يهدينى الله إلى الخير ويزيح عن قلبى الكرب . وعند آذان الفجر خرجت للمسجد لأصلى وسجدت لأدعو الله بعد صلاتى وسالت دموعى وأجهشت فى بكاءً هستيري اهتز معه كل جسدى وملأ صوتى المكان ثم أحسست بيد دافئة تربت على كتفى فرفعت وجهى ورأيت شيخ الجامع . كان شيخاً فاضلاً صديقا لى يحبنى كثيراً ويحترمنى لسمعتى الطيبة وقال لى إنك بين يدى الله فليهدك ويقوى إيمانك وفوض أمرك له سبحانه وتعالى وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، ابعد عنك وسوسة الشيطان واترك الأمر لصاحب الأمر واستعن بالله . وهدأت نفسى قليلاً فكلمات الشيخ كانت مريحة مطمئنة بعثت فى نفسى السكينة والرضا .وقبلت يد الشيخ وقصصت عليه حكايتى وتألم الرجل لألمى ونصحنى قائلاً عليك بالسفر يا بنى حدد المكان وأخطو إلى أعتاب جديدة وبإذن الله ستجد ما تصبوا إليه نفسك وتقابل بنت الحلال

الطيبة التى تتمناها ففى السفر فوائد كثيرة . وفعلا عملت بما نصحنى به الشيخ . وكان لى صديق حميم هو كل أهلى كنا ثنائى جميل قضينا معاً كل مراحل التعليم مشاكلى مشاكله وهمى هو همه ، كان إنسانا رائعا فى تصرفاته مخلصاً وفياً يفضلنى على نفسه وكان يدعى أحمد ، تخرجنا من الجامعة وقام هو بدراسات عديدة فى اللغات والكمبيوتر وعمل بالتجارة والتسويق ونجح نجاحاً باهراً وكان ميسور الحال له بيت جميل فى القرية يذهب إليه كثيراً فى الإجازات أثناء شراء المحاصيل والفواكه التى يسوقها للمدينة وله أصدقاء عديدين فى كل مكان يذهب إليه، تزوج من فتاة جميلة ومن عائلة صالحة عفيفة وأنجب منها ثلاث أطفال ويعيش حياة هادئة. وفى أيام الدراسة كانت لنا زميلة من أيام الجامعة شخصيتها قوية وذكية ودائماً تتفوق علينا فى الامتحانات وتنال أعلى الدرجات وتفوقها كان يسعدنا كثيراً ونحب لها ذلك التفوق والتقدم فهى تعتبر جزءا منا نحن الاثنين وأحياناً نضحك من أنفسنا إذا ما انتصرت علينا فالتنافس بيننا كان شريفاً. إن الشباب نعمة والتعاون والحب بين الأصدقاء غالى الثمن . وفى أوقات الفراغ كنا

نخرج للهواء الطلق نجرى ونمرح ونلهو وكأننا فى جنة الحياة . كنا ننادى صديقتنا باسم سمسمه اختصاراً لاسمها الحقيقى ياسمين ، كانت ذكرياتى مع أحمد وياسمين جميلة ومشوقة وتذكرت أيضاً زملاءنا فى الجامعة كانوا يسموننا المثلث الذى لا يقهر ولا يقترب منه أحد وتغلغلت ياسمين فى كيانى ودخلت قلبى وشعرت نحوها بالحب الحقيقى وتمنيتها زوجة لى لأنى تعودت على وجودها فى حياتى فأصبحت الهواء الذى أتنفسه لا تفارق خيالى أبداً ، إنها بين خلجاتى وضلوعى وداخل قلبى إنها الحب الأول فى حياتى وأتمنى اليوم الذى أقف أمامها وأصارحها بما يدور فى نفسى من هذا الشعور. وفعلاً قررت أن أصارحها لأن الامتحانات النهائية على وشك الانتهاء وبعدها كل سيذهب إلى حال سبيله ، وذات يوم وقبل نتيجة البكالوريوس بأيام قليلة دخلت حديقة الجامعة وفى نفسى تصميم لأعترف بحبى وأبوح لها بمكنون قلبى وأعرض عليها الزواج رغم خجلى الشديد وعدم مقدرتى على الوقوف أمامها ومصارحتها لكن ما باليد حيلة يجب أن أتشجع وإلا ضاعت منى وخسرت كل شئ بسبب هذا الخجل الذى لا يمكننى

التخلص منه وأثناء انتظارى لحين حضور ياسمين وأنا أقوى نفسى لأستعد لهذا الموقف، إذ بأحمد صديقى يأتى إلى مسرعاً متهلل الوجه يكاد يطير من فوق الأرض وقال لى أين أنت يا جلال لقد بحثت عنك فى كل مكان . قلت له خيراً ماذا بك وما كل هذه الفرحة التى على وجهك . فقال لى أحمد اسمع يا جلال إليك أعظم خبر فى الدنيا قلت هات ما عندك بسرعة ماذا حدث؟ قال لى: لقد صممت على الزواج من ياسمين فأنا أحبها منذ سنوات وهى تبادلنى هذا الشعور لكنها لم تفصح عنه وبحاستى أنا أعرف أنها تميل لى كثيراً فما رأيك بهذه المفاجأة ، أنا أريد منك أن تعزز موقفى وتقف معى تشجعنى لأن أطلب يدها فأنت أخى وصديقى وزميلى وحبيب كل لحظات حياتى وليس لى سواك وأكمل حديثه قائلاً والله يا جلال أنا لم أنم ليلة البارحة أفكر كيف ستتقبل هى هذه المفاجأة ، إنى أحبها حباً جنونياً وكتمت فى نفسى هذا الشعور خوفاً أن أقابل بالرفض الذى كان سيؤثر على كثيرا ونحن على وشك الانتهاء من الامتحانات . فما رأيك وأخذ يقبلنى ويضرب ظهرى بيده فرحاً يكاد يطير من على الأرض ، ولم أتمكن من النطق في بادئ الأمر ولم تقو

قدماى على حمل جسدى فجلست على حافة السور وابتسمت لصديقى بكل صعوبة محاولاً أن ألملم نفسى لأظهر أمامه بأنى فرحت لهذا الخبر الذى فى الحقيقة ذبحنى وغرز خنجراً فى قلبى حتى ماتت الكلمات على شفتىَّ ولكنى تحاملت بكل ما أوتيت من قوة مستعيناً بالله ، وقلت له إنه أحسن خبر فى حياتى ربنا يوفقك ويجعلها قدم سعد عليك . وقبلته وحضنته ثم اعتذرت له بحجة أنى مرتبط مع إخوانى بميعاد وقلت له طمئنى بعدما تقابل ياسمين حتى أبارك لها . واستوقفنى أحمد قائلاً هل أخطأت الاختيار يا جلال ؟ وتلعثمت وأحسست بالعرق يتصبب من جبينى وتمالكت نفسى ورعشة صوتى وحشرجته وبلعت الدموع وهى فى محاجرها ونكست رأسى أرضاً احتراماً للصداقة وما بيننا أنا وأحمد وكل هذا الحب والإخلاص والوفاء وقلت له وأنا أحاول إخفاء لعثمة لسانى إنها تليق بك وتليق لها وأنا أبارك هذا وربنا يوفقك وحبست نبض قلبى بيدى حتى لا يسمع ضرباته المارة بجوارى وقلت فى نفسى إنها الأقدار . إنه الإنسان الوحيد الرائع فى حياتى فلا يمكن أن أخذله أبداً لقد تكتم الأمر عنى وتكتمت الأمر عنه حتى بدأ هو بالكلام

فهو الأحق وإذا كان قد حدث عكس ذلك فأنا واثق أنه كان سيفضلنى على نفسه ولن أبوح لأحد بما دار فى نفسى حتى لا أفقده أو أفقد ياسمين إنهما يليقان ببعضهما إن بهما نفس الشقاوة أما أنا فخجلى دائماً يسبقنى ، وفجأة جاءت ياسمين وعلمت بالأمر وما شعرت به كان غريباً . لقد وجدت الدموع فى عينى ياسمين وقالت بصوت هادئ لم يسمعه أحمد بعدما نظرت إلى وكأنها تعاتبنى لعدم مبادرتى بطلب يدها وشعرت بمرارة الكلمات التى ستقولها ، لا تغضب يا جيلى فكانت تنادينى دائماً جيلى اختصاراً لاسم جلال وعندما كنت أخجل ويحمر وجهى كانت تقول جيلى فراولة وأضافت أنا أعلم ما يدور فى نفسك وأشعر بما يكنه قلبك لى وقرأت ذلك فى دموع عينيك التى تتحجر فى مقلتيك إنها ليست دموع الفرح لأحمد ولكنها دموع الحسرة على فقدك لى وتأكد يا جلال أنى سأفعل ما يرضيكم أنتما الاثنين ، فأنا أعرفك جيدا ، إنك كتوم ولا تتكلم كثيراً وأنا أحبك حباً لا يوصف لكل صفاتك النبيلة الطيبة فاهدأ بالله عليك. وتركتها فاراً من أمامها حتى لا يلاحظ أحمد شئ إنه وهى كل حياتى وذكرياتى وطفولتى وشبابى ولا أريد أن أفقدهما أو يعكر ما

بيننا شئ إن قلبى مقدور عليه سيهدأ بعد حين أما صداقتى لهم فهى كل ما لى فى الوجود ، وابتلعنى زحام الطلبة والطالبات حتى وصلت لباب الكلية وذهبت لبيتى وشعرت باليتم لأول مرة بعد وفاة والديَّ.

تنهدت لقد ثقل صدرى كثيراً فأخرجت الهواء منه دفعة واحدة حتى يستكين القلب الجريح . ومرت أيام قليلة ثم ظهرت نتيجة الامتحانات ونجحنا ثلاثتنا بتفوق وفرحنا فرحاً ليس له حدود لقد كلل الله جهودنا بنجاح كنا نتمناه ونستحقه وهنئنا بعضنا بكل الحب والود وكانت السعادة تملأ قلب ياسمين وأحمد وأنا مثلهم إلا أن فرحتى لم تكتمل وكانت ستكون عظيمة لو نلت الحبيبة التى تمنيتها وفجأة وجدت ياسمين تبكى بل أمسكت وجهها بيديها وأجهشت فى بكاء عنيف وبسرعة أخرجت أنا وأحمد فى وقت واحد منديلاً لكى نمسح به عينيها الحبيبتين . وفى نفس واحد قلنا ماذا حدث لماذا كل هذا البكاء ، فردت باقتضاب لا شئ نحن سعداء بالنجاح ولكن ماذا بعد هذا النجاح سوى الفراق بيننا وقال أحمد مندفعاً لا لن يحدث فراق أبداً سوف أتزوجك وسنعيش حياة كلها الأمل والحب فأنت أغلى شئ لى فى

حياتى كلها وسنسمى أول طفل لنا جلال وندلعه بجيلي فراولة ولن نفترق أبداً . ونظرت لى ياسمين وقرأت ما فى عينيَّ وشعرت برعشة تسرى فى جسدى وشعرت هى بعذاب نفسى وحيرتى ولكنها كعهدى بها دائماً كانت قوية الإرادة حكيمة التصرف متزنة فى قراراتها. أضافت إن الأيام سوف تفعل ما سجلته لنا الأقدار ، والنصيب مكتوب وكل ما فى الأمر الآن هو أنى سأسافر إلى الإسكندرية عند عمتى أنا والعائلة لقضاء شهور الصيف كلها عندها ، وسوف أفتقدكم أنتما الاثنين ولكن عزائى هو التليفون والرسائل التى سنتبادلها سوياً ، أما موضوع الزواج يا أحمد فأنت تعلم أنى أحبك من كل قلبى وأحترم جلال الدين من كل قلبى فأنتما الجزء الجميل فى حياتى وسنتكلم فى هذا الموضوع بعد المصيف وأعطتنا رقم التليفون والعنوان وابتسمت قائلة أستودعكم الله وإلى لقاء قريب بإذن الله . وذهبت فى لمح البصر حتى لم تنتظر أن نرد عليها السلام وخرجنا من الجامعة أنا وزميلى كل متوجه إلى بيته ، كانت الحياة بدونها خاوية ليس فيها المعانى الجميلة السابقة التى تعودت عليها فى وجود ياسمين . ومرت الشهور الثلاثة

بطيئة ولم ترسل لنا ياسمين أى رسائل ولا حتى مكالمة تليفون واحدة ولم يرد علينا أى أحد فى الرقم الذى تركته لنا وتعجبنا لهذا التغيير المفاجئ فلم نكن نتوقع كل هذا التجاهل منها وذات يوم جاءنى حامل البريد وتسلمت منه رسالة وعرفت أنها منها وفتحتها بقلبى قبل يدى وكانت كل خلجاتى ترتجف وقرأت السطور الحبيبة التى سطرتها بكل الإخلاص والحب ، عزيزى وزميلى وصديق الأيام جلال الدين ، تحية طيبة وأشواقاً ليس لها حدود لقد علمت ما يدور فى قلبك من ناحيتى دون أن تنطق به شفتاك شعرت بنار حبك وكتمان سره فى قلبك وأعرف أن سبب سكوتك هو احترامك لأحمد صديق العمر والزمالة فما رأيت فى حياتى صداقة محترمة ووفية كما رأيتها فى معاملتك لأحمد ووفاء نادرا رأيته من أحمد لك ، وبما أنى أحبكم أنتما الاثنين كثيراً فأنتما مثلى الأعلى فى الشهامة والوفاء والحب والصدق الذى ندر فى أيامنا هذه فعز على أن أكون السبب فى قتل هذا الحب والوفاء كما أنى أحب أحمد هو الآخر ولكن ليس بالشكل الذى أحبك أنت به ، وذلك لرزانتك وسعة صدرك وإيمانك بالله وحبك لكل من هم حولك ولهذا

فضلت أن أكون بعيدة فضلت أن أترككم كما أنتم ، قوة هائلة لشخصين متفانيين متحابين كل منهما يفضل الآخر على نفسه شامخان كالأهرام لا تؤثر فيهما عوامل الزمن ، فضلت أن تكون ذكراى معكما طيبة ذكية عطرة السيرة . لهذا أزف إليك خبراً قد يؤلمك ولكنه هو الأصلح ، إنى تزوجت من ابن عمتى التى فى الإسكندرية وهذا الزواج غير مبنى على الحب وإنما هو زواج الأقارب أى أنه زواج تقليدى وربما يأتى الحب بعد ذلك بالمعاشرة الطيبة وعليه بما أنى ضحيت بقلبى وحبى من أجل استمرار صداقتكما فإياك أن تترك أحمد أو يشوب علاقتكما أى نوع من الغدر فكونا كما وجدتكما دائماً المثل الأعلى والقدوة والتعاون والحب واحفظ السر حتى لا تتأثر علاقة أحمد بك فلا أريد للحب الذى جمعنا نحن الثلاثة أن يكون هو نفسه الذى يفرقنا . وعندما فرغت من قراءة الرسالة ودموعى تغسل وجهى وقلبى يحترق من كلماتها إذا بجرس الباب يدق بقوة وفتحت بسرعة واندفع أحمد هائجاً كالثور جريح الفؤاد باكى العينين يمسك بيده رسالة وفهمت. لقد أرسلت له ياسمين نفس الكلام ونفس الوداع وطيبت خاطر أحمد

واستعنت بكلمات القرآن الكريم فى ذلك وقلت له إن النصيب غلاب ما باليد حيلة لقد أنهت ياسمين الأمر تماماً ولا مجال للكلام وربنا يسعدها ، والإنسان مسير فى مثل هذه الأمور وليس مخيراً وكررت عليه كلمات ياسمين الحب الذى جمعنا نحن الثلاثة لا يمكن أن يكون هو نفس الحب الذى يفرقنا فأرجوك لا تجعل من حبك لها كرهاً وسوف نظل المثلث الذى لا يقهر كما سمانا زملاؤنا فى كل مراحل الجامعة فلا تغضب يا أحمد فإن لم تكن زوجتك فيكفى صداقتها ، كنت أواسيه ولا أجد من يواسينى . ومرت سنوات طويلة تزوج فيها أحمد من فتاة جميلة غيورة بعض الشىء وأنجب منها طفلين هما كل حياته وعمل بالتجارة مع والده وأصبح له صيت مسموع فى مجال التسوق بالفواكه والخضر وما زلنا أصدقاء أوفياء وتناسينا مع الزمن حبنا الأول لياسمين التى انقطعت أخبارها عنا تماماً . وأخرجنى جرس الباب من ذكرياتى وجاءنى أحمد بعد أن فرغ من عمله لأنى طلبت منه الحضور لأمر هام وعاجل وتجاذبنا أطراف الحديث سوياً واختتمت كلامى بموضوع السفر خارج العاصمة والذهاب إلى الريف للاستجمام ولأرفه عن نفسى ووافقنى

أحمد بسرعة وقال إنه خبر جميل سوف أذهب الأسبوع القادم إلى قريتى للتسوق فأنا لى منزل هناك ، إنه منزل ريفى بسيط كان منزل العائلة كما تعلم سننزل به وسأرسل من يقوم بتنظيفه وإعداده لنا ستكون رحلة جميلة وسنسترجع ذكرياتنا وسط الأشجار والسواقى وتغريد الطيور، سأوصلك وأعود فى نفس الليلة لتسليم التجار الفواكه وبعدها سأمكث معك باقى الأسبوع فأنت تعلم أنه موسم جمع محاصيل الفواكه والتجار لا يرحموا وفرحت أنه وافقنى على طلبى وسيبقى معى بعض الوقت، إنه أحمد ،ملاذى من الحزن دائماً وجهزت كل طلباتى ومستلزماتى وحضر بسيارته الفاخرة وكان الوقت فجراً والشبورة ما زالت تخفى البيوت ورائها وقطرات ندى بسيطة تتساقط على زجاج البيت وكأنها ألحان موسيقية رتيبة كانت الشوارع هادئة ومعظم سكانها نائمون وأدرت المذياع لسماع شىء مناسب مع هذه الشاعريه الجميلة إن أجمل شىء أن تخرج من بيتك مبكراً لترى جمال الطبيعة وتشم رائحة الزهور قبل أن تختلط بعوادم السيارات ، تقود سيارتك بسرعة بدون أى إشارات أو كلاكسات مزعجة

وأسعدنى رؤية بائع الجرائد وبائع اللبن والأفران التى تجهز الخبز ليباع طازجاً ساخناً ورائحته تملأ المكان وتبعث على الطمأنينة والإحساس بالخير ، وأخذت السيارة تضرب الأرض بسرعة فائقة متوجهة إلى ريفنا الحبيب وأغمضت عينىَّ لأسمع الطيور وهى تغرد تتسابق مع بعضها ترفرف فى الهواء فى أسراب جميلة ، وقال أحمد إيه يا جلال هل أنت نائم؟ ونظرت له قائلاً وكيف أنام وأترك هذا الإحساس الجميل ومنظر خيوط الفجر وهى تنسجم مع سلاسل أشعة الشمس يا الله ما أبدع صنعك ، ثم مددت يدى لأبحث عن إذاعة القرآن الكريم وبعد مسافة قصيرة لاحظت وجود طائر أبيض ناصع البياض إلا من ذيله فكان رمادى غامق وقلت فى نفسى عجباً إن هذا النوع من الطيور يجب أن يكون كله ناصع البياض حتى ذيله ، وتداركت نفسى قائلاً ربما يكون مهجن فالدنيا بها الكثير لكن لماذا يتبعنا هذا الطائر إنه يقف على سقف السيارة منذ خرجت من البيت يطير أحياناً بمفرده ويغيب قليلاً عن عينى ثم أجده فجأة فوق السيارة مرة أخرى وابتسمت فى نفسى وقلت ربما ذاهب فى رحلة معى أو يكون مكتئباً ويبحث عن عروس مثلى . ثم سألت

أحمد أين نحن الآن يا أحمد فرد على لقد دخلنا منتصف الطريق الزراعى سنصل بلدتى بعد ساعتين إن شاء الله ومضت السيارة من قرية إلى قرية ومنظر الريف الجميل وبيوته البسيطة المتواضعة ورائحة الطمى والزرع والطيور ودخان أفران الفلاحات وخروج الرجل الريفى وأمامه الحيوانات التى تساعده فى أعماله والأطفال فى ملابس المدارس تعلو وجوههم ابتسامة بريئة والسواقى التى تجرها الحيوانات فى صبر كبير وهى مغمضة العينين بالقماش حتى تؤدى عملها دون أن تشعر بدوخة أو إعياء أنها مناظر تبعث فى قلب رجل المدينة الهدوء والسكينة لهذه الحياة التى تعتمد على الصبر والجلد والبساطة فى الحصول على الرزق والتعاون بين كل أفراد الأسرة فعلاً فى السفر فوائد كثيرة. وسمعت صوت صديقى يقول إن القرية المقبلة هى قريتى فيها بيت العائلة رحمهم الله وكما قلت لك سأنزل فيه معك نتناول الفطور ونشرب الشاى ، ثم آخذك إلى أعز أصدقائى شيخ كبير رجل وقور له كلمة مسموعة بين قومه إنه أصدق إنسان فى إعطاء النصيحة ومنذ عشر سنوات لم أره فأنا دائماً فى عجلة من أمرى لكنى لم أقطع

صلتى به تليفونياً إن سفرى للسعودية عشر سنوات أبعدنى عن الأهل والأصدقاء هنا وعندما علمت أنك تريد زيارة الريف اتصلت به ليرسل من يقوم بتنظيف المنزل وترتيبه ويضع بعض المأكولات لنا لأن المفتاح فى حوزته . وقلت له: إنك تثق به كثيراً قال نعم لست وحدى الذى يثق به.. الناس هنا كلها تثق به ويجلسون دائماً معه وهو يخصص بالبيت مندره كبيرة يتوافد عليها المسئولون بالقرية لحل مشاكلهم ويتشاورون فيما بينهم . وهو عضو هام له كلمة بينهم واسمه الشيخ عبد الكريم يعيش مع أسرته بنتين جميلتين تركتهم صغاراً ،الكبرى اسمها هيفاء إنها الحارس الأمين لأبيها تقف وراءه فى كل أعماله، نشيطة متعلمة ومثقفة كما وصفها لى أباها والصغرى هى دلوعة والدها يخاف عليها من النسمة . المهم سوف نزوره ونشكره على الرعاية التى قدمها لى أثناء غيابى عن القرية وعن بيتى ، وأقدم له بعض الهدايا التى أحضرتها معى ستحب هذا الرجل وعائلته وستحب القرية والناس هنا ووصلنا إلى بيت صديقى أحمد وفوجئت بوجود الطائر العجيب يقف على مدخل بيت أحمد وصرخت قائلاً يا الله ما هذا ؟ أهو مرشد

الطريق وسألت صديقى ما هذا الطائر يا أحمد ؟والتفت أحمد ليرى الطائر ولكنى لم أجده ونظرت فوق سطح السيارة والبيت والشارع لقد اختفى ، وابتسمت قائلاً إنه يتعقبنا من أول خروجنا من المدينة حتى وصلنا إلى هنا يختفى ثم يظهر ويظهر ثم يختفى. ضحك أحمد ثم قال لا تأخذ فى بالك فالسماء مليئة بالطيور هيا بنا ودخلنا البيت . كان بيتاً جميلاً متواضعاً يوجد به فرن الخبيز وقاعة صغيرة مفروشة بالحصر والشلت وفى وسطها طبلية مرصوص عليها فطور ريفى زبد وجبن وحليب وفطائر وقشدة وخبز ساخن وشاى وقلة ماء مغطاة بغطاء نحاسى موضوعة فى صينية بها أعواد من النعناع الأخضر والريحان، وعندما رأيتها شعرت بالعطش فأمسكت القلة وأنا مشتاق لرائحة الزهر التى تفوح منها ورويت ظمئى ثم أكلنا وشربنا الشاى وبدلنا ملابسنا . ورفض أحمد أن ننام قليلاً وقال هيا إلى بيت الشيخ لأنه فى انتظارنا فهو يجهز الغداء الذى يحتوى على الطيور السمينة الشهية التى لن تجد مثلها فى المدينة

وفعلاً ذهبنا للشيخ عبد الكريم . لقد قوبلنا بالترحاب المعهود من قبل الرجل الريفى الوقور وضمنى الشيخ

لصدره وقبلنى كأنه يعرفنى منذ سنوات طويلة وقال أهلاً ومرحباً إن ضيف أحمد هو ضيفى لأنه صديقى الحميم وابنى الذى ربيته ولم أنجبه فوالده كان أخا غالٍ علينا جميعاً . ونادى على ابنته هيفاء قائلاً تعالى يا هيفاء قدمى لنا الشاى وبعض الفطائر وقلت بسرعة: اعفنى فنحن أكلنا قبل حضورنا مباشرة كل ما أعددته لنا فى بيت أحمد جزاك الله عنا خيراً . وابتسم الشيخ إذاً نشرب الشاى ونتحدث عن جلال قليلا، وقال أحمد إن جلال الدين كما شرحت لك فى التليفون هو أخى وصديق عمري وحضر إلى البلدة ليزورها ويتعرف على الريف وما حدث له فى هذه السنوات من تغيرات كما أن حالته النفسية سيئة بعض الشىء ونصحه شيخ الجامع صديقه بالسفر للراحة والاستجمام ، لكن للأسف أنا لن أتمكن من ملازمته فترة رحلته كلها لظروف عملى وسأتركه فى رعايتك لتكون مرشده فى غيابى حتى أعود . وقال الشيخ بكل سرور سوف أفعل ودخلت هيفاء تحمل صينية الشاى وبعض الكعك وسلمت علينا بإيماءة بسيطة من رأسها وانبهر بها أحمد وقال ما شاء الله لقد كبرت يا هيفاء وصرت أجمل البنات وابتسمت هيفاء قائلة

الفضل لأبى الذى يرعانى بحنانه وحكمته . وقال والدها يا هيفاء لقد حضر أصدقائى أحمد وجلال الدين ليسمعا منك شرحاً وافياً عن قريتنا فاستفيضى واشرحى ولا تستحى . وابتسمت هيفاء وأشارت لى يا سيد جلال الدين إن بيوتنا مبنية بالطوب والبعض مبنى بالطين ، والناس هنا طيبون ،كل بيت مكون من دورين على سطحه الطيور والخزين وفى وسط دارنا طلمبة مياه واقفة تلمنا كلنا، كأنها أمنا والحصر فرشنا ، مفروشة هنا وهناك وفوقها شلت للبنات ، وفى كل دار تشم ريحة الخبيز والماشية والمعيز وتشوف بط بيتزغط عشان هندبحه لضيف عزيز . وقريتنا فى وسط الريف فيها حب وود من غير زيف . والجيران هنا هم كل أهلنا يفرحوا لفرحنا ويواسوننا فى حزننا ، يقفون جنبنا فى أى مشكلة وان غبنا عنهم ييجوا يخبطوا ويسألوا ويشقروا ، وندوب فى ودهم ويدوبوا فى ودنا . ولو زرت حد فيهم من غير حساب يقدموا كل اللى عندهم ، ولو ما كنش عندهم يخرجوا فى سرهم ياخدوا من بعضهم ويقولوا ويرحبوا ده النبى زارنا والحب جالنا والحبايب . فى دارنا وأول ما يجهزوا ويدبحوا ويحمروا وكمان يشوحوا ،

ويفتوا ويفرقوا مع بسمة تلمهم . وفى الليل يا سلام على الطبيعة والعصافير تزقزق وترفرف بجناحين.. راجعة لعشها بعد نهار طويل، وصوت الضفادع نغم للودنين، هى دى بلدنا نورتم الدار و نورتم العين. وضحكنا كلنا وصفقنا لها وكأننا كنا نسمع كلمات منظومة جميلة صادقة ومخلصة فى وصف بلدها من كرم وحب وتعاون وتمعنت فى وجه الفتاة كانت جميلة سمراء عيونها سوداء كحيلة واسعة عميقة نظراتها ساحرة وشعرها مجدول حتى نصف ظهرها تغطيه طرحة بيضاء خفيفة إنها ممشوقة القوام هادئة الجمال حلوة اللسان والمقابلة والكلام ، ونظرت لها خلسة عندما قربت منى لتعطينى كوب الشاى لأتبينها من جديد وفجأة رأيت الطائر المرافق لى فى الطريق ينظر إلى بتفرس شديد ولأول مرة ارتجف قلبى لرؤيته يا إلهى ما هذا الطائر مستحيل أن يكون شيئا عاديا إنه معى طول الطريق ثم فى بيت أحمد وهنا فى بيت الشيخ عبد الكريم وتجهمت قليلاً ثم نادانى الشيخ ما بك يا بنى ؟ قلت لا شيء يا عماه لقد سرحت فى الكلمات الجميلة التى رددتها ابنتكم الموقرة . وربت الشيخ على كتفى قائلاً نورت البلد يا بنى وماذا

عنك يا أحمد لقد شوقتنى لسماع حكاياتك فى السعودية التى حرمتنا منك عشر سنوات ورد أحمد قائلاً ولكنى كنت أراسلك يا شيخ عبد الكريم قال الشيخ طبعاً وإلا كنت قتلتك فأنت تعلم أنه لا غنى لى عنك ورد أحمد ربنا يديم المعروف.. جاءت الساعة الخامسة مساءً وقمنا لتناول الغذاء المتأخر لأن هيفاء عملت وليمة كبيرة وليس غداء عادى . وأكلنا وشربنا القهوة العربية اللذيذة ثم قلت لأحمد إنى متعب يا أحمد لقد شعرت بدوار مفاجئ برأسى وبعض السخونة فى جسدى أريد أن أنام قليلا قال تفضل بعد إذن الشيخ ، وذهبت لحجرة فى الدور العلوى ووضعت جسدى فى السرير ولم أشعر بنفسى ورحت فى سبات عميق ، أيقظنى أحمد وكانت الساعة الحادية عشرة مساء لقد نمت مدة طويلة ربما يرجع ذلك إلى هدوء نفسى وتغير الهواء ووجودى وسط هذه العائلة الكريمة . نزلت إلى حيث يجلس الشيخ عبد الكريم وقلت له: أشكرك على كل ما قدمته لنا من حسن الضيافة لقد كنت متشوقاً إلى اللمة والعيلة وسوف أترككم لنذهب إلى بيت أحمد ولنا لقاء آخر بإذن الله. قال الشيخ فى رعاية الله يا جلال الدين ، وإذا قمت بالتنزه

بمفردك فإياك وصعود التل.إنه مرتفع جداً وهو بآخر البلد والمسافة له طويلة وأنت متعب طول اليوم ، وأرجو أن تعود لزيارتى وإذا صادفتك أى مشكلة أو احتجت شئ ستجدنى أباً كريماً لك ولا تنسى كلمات الله وعهده وقبلت يد الشيخ وسلمت على باقى أسرته وخرجت مع أحمد متوجهاً إلى بيته وعند مدخل البيت أعطانى أحمد المفتاح وقال سوف أتركك هنا لأنى يجب أن أكون فى عملى الساعة ٨ صباحاً لاجتماع هام وسأعود لك يوم الخميس لأقضى عدد من الأيام معك أصحبك إلى المزارع والغيطان ونتفقد باقى القرى المجاورة وستكون رحلة جميلة إن شاء الله. قبلته ودخلت إلى البيت وهممت بخلع ملابسى وتسمرت فى مكانى لقد وجدت الطائر يقف على سرير حجرة النوم، لا يمكن أن يكون هذا طائر طبيعى إنه يلازمنى من الفجر وحتى منتصف الليل يتعقبنى فى كل تحركاتى يختفى ثم يظهر، وسألت الطائر ماذا تريد ؟هل أنت ملاكى الحارس أم أنت روح لأحدً يحبنى أم أنك طائر بائس مثلى ووجدت معى الصديق الذى ترافقه رحلتك ، واقتربت منه قليلا ونظرت له فانقبض قلبى وشعرت بشىء يجذبنى للخروج إلى الشارع

هارباً من أمامه . وفعلا توجهت مباشرة ناحية الشارع العمومى . كان الشارع ممتداً طويلاً على يمين الترعة وبه مجموعة كبيرة من الأشجار المتشابكة مع الأشجار المقابلة لها بحافة الترعة ورغم ظلام الليل إلا أن القمر كان ساطعاً والطريق مضىء بعض الشىء مما جعلنى أرى المنظر بسهولة ويسر ، وفى منتصف الطريق وجدت امرأة تجلس على الأرض ترتدى ملابس الغجر المزركشة بالخرز وتضع على وجهها برقعاً مطرزاً وفوق صدرها مجموعة من العقود الملونة الزاهية ومجموعة من الخواتم مرصوصة بجوار بعضها فوق أصابعها ، ويحيط بالغجرية مجموعة من الشباب والشابات يضحكون ويصفقون ويصفرون واقتربت من المرأة والمجموعة الملتفة حولها وعرفت أنها تضرب الودع وتكشف الطالع للشباب وتقول بعض كلمات تجعلهم يصرخون فى انبهار لصدق قولها ومعرفتها بخبايا أمورهم وأخذوا يتضاربون بالأيدى وكأنهم فى الكشافة ويصفقون لها فرحين بحلو حديثها . ووقفت وسط هذا الجمع أتعجب فى نفسى !! نحن فى الريف وفى منتصف الليل والناس هنا ينامون بعد المغرب كعادتهم فمن أين جاء

كل هذا الجمع؟! ثم رددت على السؤال فى عقلى ربما رحلة من مدرسة أو كلية وأثناء عودتهم تصادف وجود الغجرية فوقفوا معها لتكشف لهم الطالع وتسترزق منهم وأراح هذا الخاطر تفكيرى . وفجأة نظرت فى عينى الغجرية فوجدتها تنظر لى مباشرة وكأن بعينيها سهام تخترق عقلى كانت عيناها جميلتين واسعتين ورموشها طويلة ثقيلة تضفى على عينيها جمالاً أخاذاً. قالت لى بصوت جميل.. مرحباً بك أيها الغريب تقدم وأخذت ودعة كبيرة وقالت خذ وشوش الودع وكأنها تأمرنى . فما كان منى إلا أن أخذت منها الودعة بسرعة ولكنى لم أقل شيئاً ورددت لها الودعة فأخذتها وابتسمت قائلة رغم أنك لم تقل شيء للودع إلا أنى أعرف أنك جئت إلى بلدتنا من أجل أن تجد عروسا تليق بك تكون جميلة الهيئة طيبة حنون تلد لك الولد والبنت تكون كريمة العشرة من عائلة محترمة تخلص فى حبها لك وتكون الأم والزوجة ، وسقط فى يدى !! ما هذه المرأة إنها عرفتنى من الوهلة الأولى ونادتنى بالغريب ثم قالت كل ما يدور فى نفسى وكأنها تقرأ حياتى من ورقة مكتوبة معها فمن تكون ؟ أهى حقاً تعرف الطالع وتكشف المستقبل ، إن

المستقبل بيد الله ولا يعلم عنه إلا الله سبحانه وتعالى وبطل زمن العرافين ، فمن أين جاءت هذه الغجرية !! إنها شابة صغيرة وجميلة وليست سيدة عجوز كما نعرف عن العرافات إذاً كيف عرفت ما يدور بنفسى وأنا لم أتكلم مع أى أحد منذ وصولى إلى هذه القرية ، حتى أحمد صديقى لم يطلع الشيخ عبد الكريم عن سبب الزيارة سوى أنى جئت للتنزه وتفقد جمال الريف وأحواله وانتبهت فجأة على صوتها وكأنها تنادينى ، وقالت بصوت هادئ اذهب هناك فى آخر البلدة ستجد تلاً كبيراً شاهق الارتفاع فوقه بيت جميل يشبه القصور القديمة سوف تجد ضالتك التى تبحث عنها منذ سنوات ولكن يجب أن تذهب الآن قبل مطلع الفجر وإلا تأخرت . اذهب بسرعة وسوف تقابل غايتك وقل لهم أنا التى أرسلتك ، وكنت كالمسحور ، تركت الغجرية ومشيت بخطى واسعة نحو التل كما أرادت لأبحث عن القصر أو البيت الذى يشبه القصور القديمة كما قالت وفجأة تذكرت أنى لم أدفع للعرافة أو الغجرية شيئا من المال نظير ما قدمته لى من مشورة فالتفت خلفى لأرى كم بعدت عنها لأعود أدراجى لها وأعطيها بعض المال ولكنى للأسف لم

أجد أى إنسان فى المكان لا الغجرية ولا الشباب؟! فقط سمعت حفيف الهواء مع الأشجار وسألت نفسى أين ذهبوا يا ترى إن هذا الطريق له مدخل واحد وليس به شوارع جانبية لقد شمل المكان هدوء تام وتقدمت بخطى واسعة نحو التل وأنا فى ذهول مما حدث ، وطمأنت نفسى قائلاً ربما أخفتهم الأشجار وابتلعهم الظلام ثم تركت هذا التفكير وأسرعت خطاى متوجهاً وبسرعة إلى التل المقصود الذى سأجد فيه فتاة الأحلام التى أبحث عنها منذ زمن ومن يعلم ربما صدقت الغجرية .

وصلت إلى التل وأخذت فى الصعود حتى نهايته بعد جهد كبير وجلست عدة مرات لألتقط أنفاسى لأبدأ مرة أخرى وأخيراً وجدت البيت العتيق . إنه فعلاً يشبه القصور القديمة يقع فى منتصف حديقة كبيرة غناء مضيئة إضاءة تبعث الراحة فى النفس ونظرت داخل الحديقة إنها غنية بأنواع الزهور العطرة الجذابة تترامى حولها أشجار الفاكهة المثمرة الموسمية والغير موسمية وتقدمت بخطى واسعة وسمعت صوت هدير مياه لكنى لا أعلم من أين يأتى الصوت ، إن صوت المياه المتدفق كأنه من شلالات تحيط بالقصر

إنه جمال لم أتوقع وجوده بالريف لقد وجدت نفسى وكأنى وسط لوحة من الطبيعة التى تجذب الإنسان ليقضى ما تبقى من عمره ينعم بها ناسياً همومه ، وعندما وصلت إلى مدخل المكان وجدت أحواضاً هائلة من الورود والرياحين والبنفسج ورائحة تشبه رائحة اللافندر تفوح فى كل الأركان يا له من قصر ثم وصلت إلى البهو وصفقت بيدى ليخرج لى أحد لأتكلم معه ، لقد قالت لى الغجرية اذهب الآن وقل لمن يقابلك أنى أرسلتك لهم معنى ذلك أنهم يعرفون الغجرية وربما يرحبون بى ولن يؤاخذونى على حضورى فى هذا الوقت المتأخر من الليل، وأتمنى أن أجد ضالتى كما قالت . ولكن إذا سألونى ماذا تريد كيف يكون ردى على السؤال ؟ إن الوقت متأخر ولا أعرف حتى اسم صاحب المكان . وبسرعة جاءتنى فكرة من يسألنى سأقول له أنا غريب وأريد مأوى حتى الصباح وبعدها يفعل الله ما يريد . وشجعنى هذا الخاطر كثيراً فصفقت بيدى مرة أخرى وبصوت مرتفع ناديت قائلاً يا أهل الدار ولم يجبنى أحد فتوغلت إلى منتصف البهو ووجدت أثاثاً عربياً أصيلاً ومقاعد من جلد الغزال بمقابض نحاسية براقة مطعمة

بالفضة وأوانى فاخرة وعلى الأرض جلود لحيوانات غالية الثمن ومساند مكسوة بالحرير الطبيعى بألوانه الزاهية ونعومته الجميلة وعلى الحائط بنادق صيد بكل الأحجام، ويفترش المكان سجاد عجمى يكسو معظم المدخل . كما وجدت فى بعض الأركان كنبا للجلوس يكسوه أيضاً قماش مشغول بالقصب وخداديات ومخدات مصنوعة من ريش النعام وأمام كل كنبه صوانى نحاسية كبيرة موضوعة على طاولات من نفس النوع وفوقها كئوس من الفضة وشمعدان وأطباق مليئة بالفواكه التى فى غير أوانها ، كما وجدت صوانى أخرى عليها أطقم للشاى مذهبة بعضها ساخنة وكأنها معده فى الحال لاستقبال زائر وتعجبت ! يا إلهى أنا لم أدخل مثل هذا المكان فى حياتى أين أنا ومن هو صاحب هذا المكان الفخم . ورغم كل هذه الفخامة كان بقلبى شيء غير مريح لم أتبينه بعد. خرجت من ذهولى وشرودى على صوت نسائى جميل وكأنه نغمات لموسيقى عذبة.. قالت أهلاً وسهلاً أهلاً أهلاً نورت المكان وأضفت عليه البهجة والسرور. قلت أنا فى خجل عفواً لوجودى فى هذا الوقت المتأخر ، وقاطعتنى السيدة بسرعة لا تخجل ولا تستحِ لقد

أبلغتنى الغجرية بوصولك وأنا فى انتظارك منذ فترة ثم قلت لها وكيف أبلغتك ؟ وابتسمت فى هدوء قائلة لنا طريقة فى الاتصال وكما ترى لقد أعددت نفسى لمقابلتك ، قلت إن الغجرية صممت على أن أحضر قبل أذان الفجر . قالت أهلاً بك فى أى وقت وأى مكان وزمان فأنت ضيف عزيز ونحن نرحب بك فى بيتنا . وسألتها لمن يكون هذا المنزل الفاخر ومن صاحبه وطبيعة عمله أهو من أعيان البلدة ويعيش فى المدينة وهذا المنزل استراحة له وتراجعت فى خجل سامحينى فأنا مبهور من هذا الجمال وموقع المنزل والأشجار النادرة والمفروشات الفاخرة وهذا ما جعلنى متعجلاً فى معرفة صاحبه. فضحكت بصوت جميل وقالت لا تتعجل فأمامنا متسع من الوقت وستعرف كل ما يدور بخاطرك وتوجهت ناحية الشمعدان وأضاءت الشموع ، ووقع بصرى عليها وانبهرت مما رأيت ، فعندما نظرت فى وجهها وجدت جمالاً لم أر مثله فى حياتى فالسيدة ممتلئة بعض الشيء طويلة بيضاء بل ناصعة البياض ، عيناها خضراء كلون الزرع تحت أشعة الشمس وأهدابها طويلة جذابة متناسقة وكأنها طبقات فوق بعضها من شدة كثافتها.

شعرها ذهبى ناعم يسترسل على ظهرها حتى كعبى قدميها فى شقاوة بالغة دون استحياء ،شفتاها تلمع بجاذبية نادرة صارخة إنها جميلة إلى أبعد ما يكون ترتدى ملابس شفافة تحت روب حريرى فى لون الورد وعندما نظرت لها متمعناً هزت كيانى كله ومدت يدها لتسلم على ثم قالت تفضل بالجلوس أيها الغريب آنست المكان وزدته نوراً وبحضورك ملأت قلبى سروراً . انتظرتك سنينا وزادنى الحنين ورافقتك من الحين للحين وتمنيت رؤيتك يا نن العين ثم غمزت بعينها وضغطت على يدى فارتجفت وأثلجت أطرافى وقلت لها متلعثماً أشكرك على كل هذا الترحيب وهل تعرفيننى يا سيدتى ؟! قالت وكيف لا فأنا أعرفك وكأنك جزء منى وتمالكت نفسى قليلاً وكأنى أشعر بتيار كهربائى يهزنى ثم قلت ولكنى لم أتشرف بمعرفتك من قبل . قالت الآن ستعرفنى وضحكت بصوت عال ذو نبرة كادت أن تخرق أذنيَّ لقد انقلب صوتها الحنون إلى بعض الحشرجة التى لم أستسغها ، ونظرت لها متفحصاً وكأنى أسألها عن صوتها وبسرعة قالت إنه البرد يؤلم حنجرتى أحياناً . وصبت لى الشاى الساخن وقدمت بعض الفطائر فى طبقى ثم سألتنى

ألم تعرفنى ؟ واستنكرت السؤال قائلاً من يعرفك لا يمكن أن ينساك أبداً فإذا رآك أى إنسان مرة فى عمره لا يقدر على نسيانك لأن جمالك نادر وسامحينى إنه ليس غزلاً فقد خلق الجمال لأجل أن نعترف به ولا نستنكره كما أن حديثك حلو عذب وحفاوتك ما رأيتها من قبل ، وانتهيت من فنجان الشاى لكنها صبت لى مشروبا دافئا له رائحة جميلة وقالت إنها بعض الأعشاب المهدئة وابتدأت فى تناول المشروب ثم قلت من أنت يا سيدتى ؟ وابتسمت قائلة إذاً أنت مصمم وإليك المفاجأة . أنا الغجرية التى قابلتها هناك أول مدخل القرية والتى كشفت لك الطالع وقرأت خبايا نفسك وضحكت بأعلى صوتها وسكتت برهة ثم ضحكت مرة أخرى بصوت أعلى قائلة أنا التى أوحت لشيخ الجامع أن يقترح عليك تغيير المكان والسفر إلى هنا ، أنا التى عرقلت كل زيجاتك لتكون لى وحدى أنا الطائر الأبيض ذو الذيل الرمادى الذى رافقك طول رحلتك، أنا داخل عقلك أنا اللسان الذى تتحدث به فى معظم الأحيان أنا التى أحبتك ووهبت نفسها لك .لقد هيئت نفسى للقائك اليوم وأعددت كل شيء مريح وجميل لتكون على راحتك معى أنا حبيبتك وخليلتك ثم قربت جسدها

ملاصقة جسدى ، ولكنى من هول ما سمعت تجمدت مكانى وأخذ العرق يتصبب من جبينى وشعرت بالدم يتجمد فى عروقى ووجدت نفسى أترنح فأسرعت وسندتنى قائلة تماسك أرجوك تماسك يا جلال تماسك أيها النبيل الطيب ثم قبلتنى على جبينى، وأخذت تخلع ملابسها دون خجل تستعرض جمالها ومفاتن جسدها دون استحياء وصرخت بها أن تتوقف ، وقلت لها أرجوك كفى فأخذت تراودنى عن نفسها بكل ما عندها من أسلحة تفتك بأصعب الرجال صموداً ووجدتنى فى حيرة من أمرى ما هذا الذى أنا به ؟ إنها أنثى جميلة فاتنة يحلم بها أى إنسان فى الوجود ، واختلطت كلماتها برأسى بعضها مع بعض كانت كسياطٍ تجلدنى ، ما معنى أنها هى الغجرية وكيف عرفت اسمى وكيف تكون طائراً وإنسانا فى نفس الوقت كيف عطلت زيجاتى ولماذا أنا بالذات وكيف أوحت لشيخ الجامع بالكلمات التى قالها لى لأكون بين يديها إنها نادتنى باسمى إنها تحبنى وتراودنى عن نفسها بكل مفاتن الأنثى التى يخر تحت قدميها أقوى الرجال . من تكون أهى شيطانة ، أهى ساحرة ؟! نعم إنها ساحرة فهذه أعمال الساحرات ولكن

لماذا أنا إنى إنسان عادى مؤمن يخاف الله ورسوله لماذا اختارتنى لقد قدمت لى نفسها رخيصة من أول وهلة جعلتنى أشمئز منها رغم كل مفاتنها التى تجعل أى شاب يتمنى أن يرتمى تحت قدميها، إن النظرة من عينيها تملأ القلب بالحب والسعادة إن أهدابها تكفى لتبعث الدفء فى النفس والروح إنها أنثى بمعنى الكلمة فكيف لها أن ترخص نفسها بهذا الشكل وفى دقائق قليلة تقدم نفسها باستهتار مقزز وفجأة ارتمت على ولكنى بسرعة قذفتها بعيداً واستعنت بالله وقدرته وقلت لها لقد أحببتك بل عشقتك وتمنيتك من أول وهلة رأيتك فيها لأنى بشر ولكنى لم أفكر لحظة أن أغضب الله سبحانه وتعالى وما حضرت كل هذه المسافة لأفعل ما حرمه الله لقد تربيت على طاعة الله والبعد عن الفحشاء وأنا بفضل إيمانى لا أغضب الخالق أبداً ولو كنت الأنثى الوحيدة على الأرض . كنت أريدك زوجة لا عشيقة يا سيدتى ثم كيف تكونى لى وأنت بك هذه الصفات والقوة فى معرفة بواطن الأمور وخباياها التى لم أجدها فى إنسان عادى أنت روح أم شيطان أم إنسان من تكونى بحق الله ؟ واقتربت مرة أخرى ناحيتى ولكنى أوقفتها بلهجة شديدة ، ابتعدى

عنى أرجوك أنا أريد الحلال أنا أكره ما حرمه الله أنا إنسان فقير ولكنى غنى بالتمسك بالقيم والدين الذى تربيت عليهم . فوقى لنفسك أيتها الساحرة واسمحى لى بالانصراف وفجأة وجدتها تركع على الأرض وهى تبكى وقلت بعصبية وغضب أنت ساحرة ماكرة وسينصرنى الله عليك ، وزاد بكاؤها وتوسلاتها وقالت أرجوك يا جلال ارحمنى إن ما فعلته ما كان إلا امتحان لأخلاقك وتصرفاتك فلا تظلمنى فأنا جميلة وغنية ومطمع لكل الرجال لذا أحصن نفسى بهذه الطريقة فإذا وجدت أنك تريدنى عشيقة ، نهرتك وطردتك من حياتى أما إذا وجدتك مؤمن بالمثل والمبادئ التى أظهرتها لى الآن أختارك زوجاً صالحاً وها أنت نجحت فى الامتحان . وقلت لها: ما دمت تعرفين كل شيء بداخلى فلماذا لم تعرفى أنى لست الرجل الذى يخون المبادئ وعهد الله . فردت قائلة: إن لكل إنسان هفوة ونقطة ضعف ولذلك امتحنتك فهل تصفح عنى ؟ أتوسل إليك لا تهدم كل هذا الحب أنا لست شريرة ولا ساحرة كل ما فى الأمر أنى إنسانة ظلمها الزمن وسأشرح لك كل شيء فى حينه فالوقت قارب على الفجر وكلنا متعب ، فرجاء اعطنى قليلا من

الوقت لإثبات حسن نيتى أسبوع فقط ، ستنزل ضيفاً عزيزاً كريماً فى بيتى هذا سأكون معك معظم الوقت من أول الليل حتى آخره نتجاذب الحديث وتعرفنى وأعرفك حتى تطمئن لى ولن أكون عروسك إلا بعد أن تعلم عنى كل شيء وتقتنع وتحبنى كما أحببتك.. سأشرح لك موضوع الزيجات والغجرية والطائر وكل شيء فى وقته فاعطنى فرصة وقبلت دعوتها فقد كانت تبكى بحرقة ووجدت نفسى تماديت فى قسوتى عليها وأمسكت يدها وأجلستها بجوارى وقلت لها بعطف شديد لقد قبلت دعوتك وسأنسى ما حدث فكلماتك ودموعك وحفاوتك ولهفتك جعلتنى أصدقك وفى الحقيقة من يراك لا يقدر على مقاومة هذا الحب لكن أنا أشك بك فقدراتك تفوق الخيال تحويل نفسك من انسانة جميلة جمالها يفوق الوصف إلى طائر أبيض يلازمنى فى رحلتى ووجودك فى منتصف الليل فى صورة غجرية وحولها جمع من الشباب واختفاؤكم وسط الظلام بسرعة مذهلة ، ومعرفتك ما بنفسى وعقلى كلها أشياء تجعلنى أخاف الاقتراب منك لكن سأعطى نفسى فرصة للتروى والبحث فى هذا الحب الذى لا أريد تدنيسه بل أريد أن يكون طاهراً مباركاً ولا

أخون العهد والدين ولا أغضب أبويَّ فى مثواهم فهما اللذان ربيانى على الأخلاق الكريمة والفضيلة ، ستكون بيننا هدنة تكشفى لى عن سرك وتصارحينى بكل شيء ومهما كان هذا السر سوف أقف بجوارك فمن تقابلنى بالحب لا أقابلها بالخيانة ولو مت فداء ذلك. نظرت لها فوجدتها تتقلص وكأن شيء ما يؤلمها ثم ترنحت وجلست وكأنها تهذى بعض الشيء وللحظات ثم مسحت ما تصبب منها من عرق وابتسمت لى قائلة سوف أفعل ستكون الهدنة أسبوعاً سأقابلك كل يوم عند منتصف الليل لأنى فى الصباح أتعاقد مع التجار لتسويق المزارع والطيور والمحاصيل وأعود متأخرة أنام ثم أغتسل وأجهز نفسى للقائك نأكل ونشرب معاً ونتجاذب أطراف الحديث لتتآلف قلوبنا ونقترب من الحقيقة التى أود بكل سرور أن نعرفها ربما وقفت معى لتخلصنى مما أنا فيه . وسيكون لقاءنا فى نفس الميعاد.. يجب أن تنام الآن وستجد كل شيء معد لك من مأكولات وفواكه وملابس ثم غابت عن عينى وألقيت بجسدى على أقرب مخدع ورحت فى سبات عميق .

لم أشعر بشيء إلا فى اليوم التالى وقد قاربت الساعة على الرابعة عصراً، نهضت من فراشى واغتسلت وأديت الفرائض التى فاتتنى وقرأت بعض آيات القرآن الكريم لتحفظنى ثم تمشيت حتى النافذة فوجدت الفطور والشاى وكل ما أشتهيه معد على الطاولة القريبة من مدخل البهو وتناولت البسيط منه ثم جلست بالحديقة اليانعة التى تأخذ القلوب من جمالها ورائحتها العطرة الذكية.. أخذت الصور تتلاحق بذهنى كعادتى أفكر بكل ما حدث وبهذه الإنسانه الجميلة الجذابة الفاتنة التى أحبتنى طيلة سنوات عمري وأوقفت كل زيجاتى ومهدت السبيل لألتقى بها فوق التل وامتحنت أخلاقى ثم الهدنة التى أعطتها لى وضيافتها لى أسبوعاً لنصبح بعدها زوجاً وزوجة وحقيقى أنا وقعت بغرامها وتغلغلت فى كيانى إنها لا تقاوم ولكن أريدها فى الحلال ويجب أن أعرف حقيقتها أولاً حتى لا تفسد علاقتنا مستقبلاً وتعددت بيننا اللقاءات وكنت فى كل يوم يزداد حبى لها وفعلت هى الكثير لتنال رضائى لكن فى معظم المقابلات وعلى غفلة منها يتغير صوتها ويصبح أجش

كأنها تبتلع شيئا ما ثم تعود بعد لحظات لحالتها الطبيعية وأحيانا تمسك بطنها وتضغط عليها بيديها ويصفر لونها ثم تعود طبيعية مرة أخرى وتبتسم قائلة لى إنه ِألم يراودنى أحياناً أعالجه ببعض الأعشاب ، وكنت أصدقها لكنى كنت مترددا خائفاً من شيء بداخلى يرفض قبولى بها كزوجة، شيء يجعلنى أريد الفرار من أمامها وإذا غابت عنى أجد نفسى مشتاقاً لرؤيتها أتمنى قربها إنها مشكلة جعلتنى ألعن الساعة التى حضرت فيها إلى هذه البلدة ، حتى جاء اليوم الموعود وعندما قارب النهار وأوشك الليل على الانتهاء وعادت هى إلى أعمالها وتجارتها ، خرجت مسرعاً من التل وذهبت فى الطريق العمومى ولأقرب تليفون لأتصل بصديقى الوفى أحمد وطلبت منه الحضور فوراً حتى ولو كان فى يده أهم الأمور من ناحية أعماله . وانتفض هو عندما سمع صوتى ولهفتى لحضوره.. وفعلاً بعد ساعات قليلة جاءنى فى بيت عائلته ووجدنى أنتظره وركبت معه السيارة لأنى كنت أريد أن أقص عليه حكايتى فى الهواء الطلق من شدة ضيق صدرى وعلم أحمد بكل شيء وكل حرف وهو يقود

السيارة فى صمت رهيب وفجأة توقف وقال لى يا إلهى من تكون هذه السيدة ولمن هذا القصر؟ إنها ساحرة أو بسم الله الرحمن الرحيم من العالم السفلى أو ربما تكون عرافة فعلاً. ثم صمت برهة وقال هيا بنا نذهب إلى بيت الشيخ عبد الكريم فهو الناصح الأمين وأعجبتنى هذه الفكرة وتذكرت الشيخ وكلماته التى حذرنى بها قائلاً إياك والتل ولكنى نسيت النصيحة ، ربما يعلم الشيخ شيئاً عن صاحبة القصر .ورغم طيبة الشيح لكنه كان قوى الإرادة وعنيدا، لقد فرح كثيراً عندما رآنا ورحب بنا بحفاوة بالغة وكذلك هيفاء الجميلة الهادئة فرحت هى الأخرى بوجودى ورويت حكايتى بحذافيرها للشيخ وبجواره ابنته التى حزنت لوقوعى بغرام فتاة أخرى غيرها فى أيام بسيطة.. تألمت فى نفسها دون أن تظهر ذلك ولكنى قرأت هذا بعيونها أثناء الحديث وقلت للشيخ يا عماه أنا لا يمكننى الزواج منها فهى من جنس أكيد لا ينتمى لجنس البشر صحيح أنى أحببتها ووقعت بغرامها بقلبى لكن عقلى ومثلى وتربيتى وخوفى منها لا تمكنى من هذا الزواج ولذلك لجأت لصديقى ولك لتخرجانى

من هذه الورطة ، إنها تعرف كل شيء يدور برأسى وأنا واثق أنها تعلم بوجودى الآن معك . لكن لا يهم أنا أريد النصح وسيفعل الله ما يشاء وانتفض الشيخ واقفاً بعد صمت طويل فكان مستمعاً جيداً صبوراً إلى أقصى درجة وقال الآن يجب أن أجمع أهل البلدة فى اجتماع عاجل فالأمر جد خطير وستهب علينا عاصفة ربنا وحده القادر على أن يحمينا منها فاستعدا للاجتماع بعد ساعة . ثم قال وأنت: يا هيفاء أعدى المندرة واشعلى الحطب وأدفئى القاعة وجهزى الفطير والقشدة والعسل وقدمى الشاى لفطور أحمد وجلال لحين عودتى بالرجال ومشايخ الجامع وكبار البلد . وذهب مبتعداً عنا وبعد قليل أحضرت لنا هيفاء ما أمرها به والدها ودخلت رافعة الرأس شامخة صبورة ثم قالت لى بهمس أنا لم أحقد عليك لأنى أؤمن بالأقدار وما تفعله بنا اصمد يا جلال الدين لقد اخترت بعقلك وأعتقد أنك فعلت الصواب فهذا الزواج سينسف من أساسه. وابتسمت تشجعنى وخرجت وبعد ساعة تقريباً حضر الشيخ ومعه الرجال كبار البلد وشيوخها ومسئوليها وطلب منى الشيخ عبد الكريم أن

أقص القصة كاملة لهم وفعلت وشعرت بحرارة جسدى ترتفع فنهضت إلى النافذة لأستنشق بعض الهواء وفوجئت بشباب القرية جميعاً يحيطون بمنزل الشيخ وهم صامتون يستمعون لقصتى مذهولين وفى أعينهم حزن وغضب ظاهر ولم أفهم الموقف . وسألت نفسى بصوت مسموع ما كل هذا الاهتمام من شباب القرية وكيف اجتمع شملهم جميعاً هنا ووجدت الرد على لسان الشيخ قائلاً لأن حكايتك تهمهم يا جلال الدين فاجلس واهدأ وسنقص عليك الموضوع بأكمله ونوضح لك ما يخفى عنك واستطرد الشيخ قائلاً يا شيوخ البلد وكبرائها الآن عرفتم قصة جلال الدين ودقت أجراس الخطر على البلدة مرة أخرى ويجب أن يعلم جلال كل شيء . لقد أرسله الله سبحانه وتعالى لتخليصنا من هذا الشؤم وهذه اللعنة إن الشقاء والعذاب الذى سطره الزمن على وجوهنا جميعاً آن الأوان لنزيحه عنا. إن جلال إنسان أبت عليه نفسه أن يضاجع السيدة الجميلة وذلك لإيمانه الشديد بعهد الله وتربيته الدينية وبيئته الصالحة ورفض السيدة الجميلة رفضاً مطلقاً وهذا هو الرجل الموعود الذى

انتظرناه سنينا طويلة وبإذن الله سيكون لنا النصر هذه المرة ثم أكمل حديثه وجميع الموجودين من حوله شاخصون بأبصارهم نحوه فى هدوء وصمت . ووجدت نفسى وكأنى ألقيت قنبلة فى وسط هذا الجمع . ما هذا كله ولماذا هذا الخوف وكأن البلدة تستعد لحرب وقهر عدو شديد البأس ولكنى أنا الآخر لم أتفوه بكلمة. قال الشيخ: لقد قصصت علينا ما حدث دون أن تقدم نفسك لأهل البلدة فقدم نفسك . وقلت أنا جلال نصر الدين وشهرتى جلال الدين درست اللغة العربية والشريعة والفقه مؤمن بالله وحافظ عهده يتيم سنى ٤٠ سنة . وقال الشيخ بما أنى أكبركم سناً سأطلع جلال الدين على قصة هذه السيدة وقصتنا معها . نحن نعيش فى هذه البلدة ميسورين فينا الأغنياء وأصحاب الأملاك وأصحاب الأعمال والمصدرين والتجار ومنا الفقراء وكلنا نحب بعضنا والغنى يرعى الفقير ويقف بجواره فى كل ظروفه نحن متمتعين بكل نعم الله حافظين لعهده نهتم ببناء المدارس والمستشفيات ودور الأيتام ونساعد العجائز غير القادرين على العمل ونحن نعتبر قرية نموذجية بمعنى

الكلمة، وهناك تل كبير يقع فى آخر قريتنا مبنى عليه بيت فخم كل ما به كان ينطق بالثراء والجمال والذوق والفن وصاحبه رجل رحمه الله كان ثرياً محباً للخير متعاونا معنا كثيراً وله أفضال على الكبير والصغير مات مع زوجته فى حادث وتركوا ورائهم فتاة من أجمل بنات القرية حلوة العشرة خجولة طموحة عاشت وحيدة بعد وفاة ذويها تملك كل ما تركوا لها من مال وأرض وأطيان وكان اسمها أهداب سمتها والدتها بهذا الاسم لجمال أهدابها وعينيها ولما كانت هذه الفتاة مطمع شباب القرية فقد وقع المحظور وجاءها شاب فاسد فى صورة رجل وقور محترم أدار عقل أهداب بكلامه المعسول ولغة الشباب المعروفة ومالت له الفتاة كثيراً وأعلنت عن الزواج به ، وعند بدأ عقد القران وكل أهل البلدة معزومين بقصرها لمحت أهداب العريس يصعد إلى الدور العلوى الخاص بحجرة نومها والتى تحتوى على خزانة كبيرة بها المجوهرات الخاصة بالأسرة وذهبت وراءه بخفة وسرعة دون أن يشعر بها فضبطته يفتح الخزانة ويضع كل ما بها فى حقيبة ويحاول إنزالها من

الشباك لامرأة كانت تقف تحت الشباك وسألته الفتاة ماذا تفعل ؟ وصرخ فى وجهها أنا لا أريدك زوجة لى لقد تقربت إليك بحجة حبى لك.إن لى عشيقة وحبيبة ولا أريد إلا مالك وها أنا ذا أخذته.. ولطمته الفتاة على وجهه فطرحها أرضاً وحاول اغتصابها إلا أنها قاومته بشدة وعنف وغرزت أظافرها فى وجهه حتى مزقته ولكنها فى النهاية ضعفت مقاومتها ونال من شرفها قبل عقد قرانها واعتدى عليها وكأنه أهاننا جميعاً وسمعنا صراخها أغيثونى أغيثونى ومن شدة خوفه طعنها عدة طعنات أودت بحياتها وهرعنا جميعاً إلى الدور العلوى ونحن فى قلق عظيم فوجدناها ملقاة على الأرض فى بركة من الدماء لوثت فستانها الأبيض حتى تاج شعرها.إنطفأت شموع فرحتها قبل أن تبدأ لقد طعن أنوثتها وجرح قلبها قبل جسدها ،جرح كبريائها ونال من أهل القرية جميعاً ولم يتمكن أحد من اللحاق به ، وأحطنا بأهداب محاولين إنقاذها ووقف الدماء والكل أخذ يصرخ والنساء والبنات تلطم الخدود والدموع سالت من محاجرها وحل الحزن مكان الفرح وأثناء خروج روحها الطاهرة وهى فى

حشرجة الموت جاء صوت أهداب متوعداً بالانتقام من عريسها وأقسمت قائلة سأكون الشيطان سأتبعك أينما تذهب لأنتقم منك ولن تهدأ روحى أبداً حتى أنالك وأذيقك العذاب ألوان وسأنتقم لشرفى ومالى وعرضى منك ومن كل شاب يستبيح لنفسه سلب أنثى حقاً من حقوقها سواء كان هذا الحق مادى أو جسدى أو معنوى . سأنتقم من أى رجل على شاكلتك سأفتك بأى أحد له أخلاقك سأكون الشيطان.. الشيطان.. الشيطان. احضر إلى أينما كنت أيها الشيطان وسأتبعك فى كل تصرفاتك لتنتقم لى . ووجدنا بعد هذه الكلمات القاسية المخيفة التى هزت قلوبنا زوبعة شرسة وعاصفة قلبت كل شيء قلبت الأثاث وتطاير فى الهواء وسمعنا صفيراً صارخاً كاد أن يصم آذاننا وبرقت السماء ورعدت بأصوات ليس لها مثيل لم نسمعها من قبل واهتز المنزل واقتلعت الأشجار من جذورها محطمة كل ما فى طريقها وطارت الطيور من مأواها واستمر هذا أكثر من ساعة ونحن نحاول أن نحمى وجوهنا وأجسادنا من الرمال والتراب واتقلبت ليلة العرس إلى ليلة سوداء كالحة أفزعتنا

جميعاً ثم انطفأت الأضواء وارتجفت قلوبنا واهتزت نفوسنا جميعاً.. ثم هدأ المكان وشكرنا الله على أننا نجونا من كل هذا ودخلنا مرة أخرى إلى جثة الفتاة ولكننا لم نجد لها أثراً وبحثنا فى كل مكان وكأن يداً خفية أخفت الجثة ، ومرت سنوات بعد هذا الحادث ثم علمنا من بعض الجيران بأن العريس والمرأة التى كانت تساعده على سرقة أهداب وجدا مذبوحين والجثتين غارقتين فى دماء غزيرة ولم يعلم حتى الآن من فعل هذا. اكتملت عشر سنوات بعد الحادث وفى خلال هذه المدة حدثت حالات وفاة كثيرة بين شباب القرية وكل من حاول الاقتراب من التل كان يصعد ولا يعد إلينا وإذا عاد كان يعود إما معتوهاً أو على جسده آثار تعذيب وكأنه جلد جلداً شديدا بسياط لا ترحم لجلاد لا يعرف الدين ولا ينتمى له . كانت هذه الفتاة التى تحدثت أنت عنها الآن والتى راودتك عن نفسها هى المعذبة أهداب وليست الانسانة الطيبة المحبوبة بل تقمص روحها شيطان ملعون كما طلبت.لقد نسيت ربها وهى تفارق الحياة وأقسمت أن تكون الشيطان وتتبعه بدل أن تقول الشهادتين وتترك الأمر

للخالق العظيم ، إن جثة الفتاة لم تظهر حتى الآن ولم تدفن فى أى مكان ولم يوارى جثمانها التراب، ونعتقد جميعاً أنها اختفت بفعل الشيطان الذى تقمصها ، وهكذا أصبحت روح الفتاة المعذبة مطرودة من رحمة الله وأصبح هذا الملعون يطارد الشباب ويستهويهم فى صورة أهداب الجميلة وتراودهم عن نفسها كما فعلت معك، فإذا حدث ومال لها وتقرب منها تذبحه بأظافرها وتجلده وتعذبه حتى الموت..

جميعنا شيوخ البلدة والبلاد المجاورة ذهبنا إلى المدينة لنستشير رجال الدين فى هذا الشأن لإنقاذنا من هذا البلاء لكن دون فائدة ، وذات يوم حضر للبلدة شيوخ من بعض البلاد المجاورة ومن المدينة ذاتها عندما علموا القصة من أقاربهم وكان جمع لا بأس به ومعظمهم مسنين يصل بعضهم إلى الثمانين أو أقل بقليل. وكل منهم له لحية بيضاء كثيفة تصل حتى صدره ووجوههم يعلوها الإيمان والرضا . وعقدنا اجتماعاً مع المسئولين وعمدة البلد والمشايخ الذين حضروا إلينا متطوعين من المدينة هنا فى الدوار فى نفس القاعة، ورأوا وسمعوا ما حل بشبابنا من التعذيب والذعر

الواضح على وجوه ذويهم . وتعرف هؤلاء الشيوخ على هوية هذا الشيطان كما علموا أن بطشه شديد وقوته فى الشر لا يستهان بها وأن هذا الشيطان اللعين يتسم بالشدة وقيل لنا أنه أتى من الأعماق السفلى عندما نادته هذه الفتاة المنكوبة أهداب وأقسمت به أنها ستنتقم وسعد هو بهذا النداء إنها جنت على أهلها وقريتها بهذا القسم وهكذا تأخذ فى طريقها أى شاب يلبى رغبتها وتشعر هى بأنه حيوان مفترس يريد سلب شيء منها وتتعارض الحالتان أمامنا فالشيطان يغرى الشاب والفتاة لا تقبل الدنس ولا السرقة ولا الخيانة فتكون النتيجة كما تروا ، يضيع الشاب وتعذبه وتنتقم هى منه بيد هذا الشيطان وقال لنا الشيوخ بعدما درسوا حالتنا جيداً إن حل هذه المشكلة أيها السادة هو الآتى ، لن يخلص البلد من هذا الشر والبؤس سوى شاب عنده مبادئ قوى الإيمان يخاف الله لا تغريه ملذات الدنيا من مال وحب وجنس رجل فى سن معقولة حافظاً للقرآن لكريم طاهراً وفياً وإذا وجدت فيه الفتاة هذه الصفات سوف تحبه حباً عظيماً والشيطان داخلها سيضعف وتصبح كلمة

هذا الرجل عليه قوية بل سيكون سيداً عليه بسلاح الإيمان والفضيلة وستقع الفتاة فى غرامه لأنه متمسك بعهد الله لا يستهويه الحرام يعامل ربه فى كل تصرفاته ، يرفض مراودتها بشدة ويستعين عليها بالله وكل هذه الصفات كانت المعذبة البائسة تريدها فى العريس الذى خانها . فإذا وجدت هذه الفتاة المعذبة رجلاً يحمل هذه الصفات فستكف فوراً عن تعذيب الشباب وملاحقتهم ويكف الشيطان داخلها عن الانتقام . وأمرنا لشيوخ بإعطاء هذا الرجل الذى يحمل كل هذه الصفات تميمة لحرق هذا الشيطان وشموع مخلوطة فى صنعها ببعض المواد التى تطرده وتعذبه وبخور مصنوع خصيصاً لتخليصها منه وسوف يقرأ هذا الشاب بعض الآيات القرآنية المخصصة لذلك . وفعلاً أعدوا لنا التميمة والآيات الكريمة والبخور والشموع وكلها فى حوزتى الآن وبها سنساعد هذه المعذبة . وتذهب روحها البريئة إلى حيث يجب وجودها وتهدأ القرية والتل والأمهات وتعود البسمة التى فارقت وجوهنا والاطمئنان الذى حرمنا منه طيلة هذه السنوات وتزول عنا اللعنة نهائياً . والآن هذه

الأوصاف تنطبق عليك يا جلال الدين فأنت الذى أحرجتها ورفضتها بشدة وقسوة . بل فضلت التمسك بالقيم التى تربيت عليها ولذلك وقع عليك الاختيارمن ناحيتها ومنا نحن أيضاً ويمكن أن تخلصنا من هذا الكابوس يا بنى فقد أرسلك الله سبحانه وتعالى لتطهر التل والقرية وقلوب الشباب .

أتذكر شيخ الجامع الذى أرسلك ونصحك بالسفر إنه كان أحد هؤلاء الشيوخ الذين أتوا إلينا بالحل ووجد فيك الصفات المطلوبة ولذلك أرسلك دون أن يطلعك على الحقيقة لتحرق هذا الملعون وتضع الأمور فى نصابها لروح معذبة تقمصها الشيطان كل هذه المدة وكلنا الآن ننتظر ردك وما تصبو إليه نفسك فهل ستساعدنا أم ستعود أدراجك إلى موطن رأسك علماً بأنها لن تتركك وستظل تطاردك ما حييت . ورفعت رأسى وأول ما وقع بصرى وقع على وجه هيفاء كانت الدموع تغسل وجهها وكانت تنظر إلى وكأنها تقول لو وافقت أرجوك حافظ على نفسك ونظرت إلى وجوه الناس البسطاء ورأيت اللهفة فى عيونهم لسماع الرد الذى يخلصهم من هذا الكابوس كانت نظرة الشباب لى فيها رجاء

مستميت ونظرة الأمهات لى فيها دموع تستحلفنى أن أوافق لأنتقم لشبابهم الذين عذبوا وجلدوا حتى الموت . ونظرة الشيوخ تستحلفنى أن لا أخيب رجاءهم حتى الأطفال الصغار يرفعون وجوههم لى ويمسكون بملابسى وكأنهم يقولوا افعل من أجلنا . وأخذت القرار فى نفسى إذا فعلت ومت يكفى أنى سأموت شهيدا ضحيت بنفسى وشبابى من أجل كل هؤلاء وستكون لى الجنة وهذا مكسب عظيم . وإذا عشت وانتصرت احترمتنى كل هذه القلوب فمن أجلهم ومن أجل هيفاء سوف أفعل والله ولى التوفيق أنا لك يا أهداب أنت وشيطانك . فالله أقوى من الجميع.

ووقفت ووقف الجميع بما فيهم صديقى أحمد وقلت استعنت بالله وعلى الله توكلت ، قبلت المهمة ولو كلفتنى حياتى فمن أجلكم جميعاً سوف أوافق وأرجو أن تساعدونى وتطلعونى على كيفية هذه المساعدة وأنا مستعد لها . وإذا بكل الموجودين يصيحوا مهللين بارك الله فى جلال حفظ الله جلال يعيش جلال ستنجينا يا جلال وفرحت . أنا بذلك لقد أصبحت أملهم الوحيد فى خوض هذه الحرب إنها حرب

شرسة إنسان ضد شيطان ولكن الله معى فهو الذى خلق كل الكائنات ، ثم خررت ساجداً لله أصلى ركعتين شكراً لنجاتى من الوقوع فى الدنس مع هذه المعذبة وإلا كان مصيرى كمصير باقى الشباب .

ودارت فى نفسى الكلمات والمعانى والقصص التى سمعتها الآن يا الله لقد حضرت كل هذه المسافة لأحب شيطانا فى صورة فتاة . ودعوت الله سامحنى يا ربى على ما تقدم منى من ذنب وما تأخر واستعنت بك لتنجينى من أجل هذه القرية المنكوبة وتقدمت منى هيفاء قائلة كلنا فداك يا جلال الدين وخلعت مصحفاً صغيراً وقدمته لى لأرتديه ليحفظنى من أى مكروه، ثم قالت إن غريمتك ليست ساحرة ويا ليتها كانت كذلك لكنها أكثر من هذا على الأقل الساحرة إنسانه أما هذه فشيطان رجيم سوف تنجح بإذن الله تعالى وخرجت باكية بصوت مسموع .

إن وجه هيفاء ملائكى طيب يا ليتنى ما تركتها وأكملت رحلتى ولكنها الأقدار والأقدار مكتوبة علينا ، إن هذه الفتاة مذبوحة من أجلى تخاف كثيراً ولكنها تتظاهر بالصلابة ،

والله يا هيفاء لو نجوت لآخذك زوجة لى مهما كلفنى هذا فما رأيت فى حياتى قلباً طاهراً مثل قلبك ، وأعطانى الشيوخ البخور المخصص له وألبسونى تميمة مكتوب عليها بعض الكلمات كما أعطونى الآيات الكريمة لأحفظها وأتلوها دون توقف مهما حدث أثناء المواجهة والشموع الخاصة بذلك بكميات كبيرة وقال لى أحدهم بمجرد أن يقرب ميعاد اللقاء ستشعل البخور وتضئ الشموع فى كل مكان وسيكون معك كل شباب ورجال القرية بل والقرى المجاورة يحيطون بالمنزل والتل ويشعلون المشاعل ممسكين بها ليضيئوا لك التل كله ومجموعات كبيرة ستمسك بالطبول ومجموعات تهلل بكلمة الله أكبر الله أكبر وقلت فى نفسى ابتدأت الحرب وأنا لها فلا يوجد شيء أخاف عليه فنجاحى فى هذه المهمة سيكون شرف عظيم لى بين الناس ، وابتسمت لهم وأخذت الأسلحة من بخور وشموع وتميمة ومصحف هيفاء الصغير وتوجهت بسرعة لأستعد. ذهبت مكرهاً إلى التل والقصر ونظرت إلى كل شيء فيه لم يعد يستهوينى !!إن كل شيء فيه من فعل الشيطان وبدأت فى

إضاءة الشموع ووزعتها فى كل مكان بسرعة فائقة وأطلقت البخور الذى كانت له رائحة غير مستحبة وابتدأت فى تلاوة الآيات التى أحفظها عن ظهر قلب ثم سمعت أصوات كثيرة ونظرت من الشباك المطل على التل من الخلف فرأيت المشاعل تحيط بكل مكان وفجأة سمعت دقات طبول تخلع القلوب ومن كل ناحية تدوى كلمة الله أكبر وبسرعة البرق ظهرت أمامى فى ملابس الغجرية كاشفة عن وجهها ووقفت أمامها بكل ثبات وأنا أتلو الآيات بصوت قوى صارخ صارم والتميمة والمصحف حول رقبتى والبخور يملأ المكان وتراجعت هى إلى الوراء وقالت بصوت أجش جلجل بالمكان لماذا يا جلال لقد فعلتها إذاً بعد كل هذا الحب الذى أحببته لك أنت تريد حرقى أتريد حرقى وأخذت تقاوم وبريق التميمة ينير وجهها وأنا قد تسمرت بمكانى أصرخ بتلاوة الآيات وفجأة أخذت تتلوى وكأن بها مغصاً شديداً وتترنح ناحية اليمين والشمال تهوى على ركبتيها ثم تنام أرضاً وهى تمسك برأسها وتضغط على رقبتها بكل قوة وتئن وأنا ما زلت أقرأ الآيات وهى تصرخ

بأعلى صوتها أنقذنى يا جلال وسمعت من داخلها صوتاً ناعماً مخنوقاً وكأن به حشرجة الموت سمعت الصوتين معاً فى نفس الوقت ولم أبالى كنت مستمراً فى قراءة الآيات وهى تصارع نفسها كأنها تقتل نفسها تخنق نفسها تشرح وجهها بأظافرها تئن بصوت حانٍ ناعم تنطق باسمى وصوت آخر أجش يهز هذا الكيان كأنه زلزال ، وبدأ الهواء يشتد داخل الغرفة حتى أصبح عاصفة عنيفة ، تساقط بسببها الأشياء ثم بدأت كل محتويات المكان فى التطاير، وتطاير السجاد من على الأرض من شدة العاصفة وتطايرت ملابسها التى ترتديها لكن شيئاً من كل هذا لم يصيبنى فكل الأشياء المتطايرة والتى تتكسر على الحوائط والأرض كانت تتفادانى واطمئن قلبى لحمايتى بالآيات التى أقرأها وزاد ذلك فى إصرارى واستمرارى فى القراءة . وزادت العاصفة الهوجاء وهى تحطم كل شيء ودقات الطبول تدوى فوق الكلام وكلمة الحق الله أكبر تملأ المكان وتحطمت النوافذ وتطاير الزجاج ، وحناجر المحيطين بالمكان من أهل القرية يصرخون مهللين الله أكبر الله أكبر واندفعت الدماء تسيل

من جسدها وارتمت أرضاً وأخذت تهذى وترتعش وفجأة انفجر زجاج الشباك الخلفى واندفع الطائر الأبيض خارجاً منه إلا أنه هذه المرة كان له ذيل أبيض ناصع البياض وليس رمادى كما كان من قبل ونظرت إليها وأنا أقرأ وأقرأ وهى ممدة على الأرض غارقة فى دمائها لقد بدأت تعود تدريجياً إلى صورة الفتاة الجميلة ، جميلة إلى أبعد ما يكون أهدابها تغطى جزءً كبيراً من خديها إنها جثة الفتاة التى اختفت بفستان الزفاف الذى لم تفرح به وبجوارها ملابس الغجرية تحترق . عادت الجثة التى اختفت منذ قتلها وعادت الروح الطاهرة إلى المكان المقرر لها أن تكون فيه واختتمت الآيات الكريمة ومسحت جبينى ثم نظرت للفتاة فوجدت جمالها قد زال تماماً وجثتها أصبحت هيكل عظمى لجسد فنى منذ سنوات وبسرعة ألقيت بملاءة كبيرة عليها وتلوت شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمد رسول الله . واحترق الشيطان فى ملابس الغجرية .

كنت فى هذا الوقت قد بلغ بى التعب مبلغه أتصبب عرقاً منهك القوى يهتز جسدى بشدة وأرتجف من الخوف

لأى خطأ يعرضنى لخطر جديد وبصعوبة ذهبت فى إعياء شديد إلى النافذة ونظرت للطائر وهو يرفرف مبتعداً ورآه كل الحشد وهو يرتفع فى السماء . وصوت ضعيف جميل يقول أشكرك يا جلال لقد أنقذتنى من اللعنة التى وضعت نفسى فيها وخلصتنى من الشيطان الملعون أشكرك فأنت أقوى من رأيت لقد حاربت بضراوة وشراسة وكان إيمانك بالمثل والمبادئ وعهد الله أقوى سلاح . لك الحياة السعيدة أستودعكم الله وسامحونى على ما أصابكم من جراء مسخى بالشيطان. واختفى الصوت وآذان الفجر يجلجل فى الفضاء وردد كل الموجودين وراء المؤذن الله أكبر حى على الصلاة حى على الفلاح وانطفأت الشموع وانبثق نور الفجر وخرجت إلى الحديقة لم تعد حديقة لقد مات كل ما بها وأصبحت موحشة يعلوها التراب وكأن ما رأيته بها من جمال كان مما صوره لى الشيطان وبدا كل شيء كئيباً مهملاً من زمن بعيد المكان والتل والبيت حتى رائحة الهواء وقابلنى أهل القرية والشيخ عبد الكريم وأحمد وهيفاء بالأحضان والهتاف وانطلقت زغاريد النساء ،

وارتميت على الأرض ورحت فى سبات عميق لا أدرى شيئا مما حولى ولا أعلم شيئاً عن نفسى ولا مكانى ولا أعلم كم بقيت فى إغمائى هذا

وذات يوم فتحت عينىَّ وأخذت أدور بهما شمالاً ويميناً، تجولت ببصرى فى كل مكان ووجدت هيفاء تجلس على الأرض بجوار السرير الذى أنام عليه وعندما نظرت إلى وجهها وجدتها شاحبة وكأنها تصارع عقلها أو تحلم حلماً مزعجاً وناديت هيفاء وفزعت وهبت واقفة قائلة جلال جلال الحمد لله على سلامتك، لقد عدت لنا ورفعتنى من تحت ذراعى وأجلستنى وأراحت رأسى بالوسائد وبسرعة ناولتنى كوباً دافئاً من الشاى الذى كان معداً على موقد بجوار الفراش وبعدما ارتشفت آخر قطرة منه قلت لها ماذا حدث لى وما كل هذا الخوف الذى على وجهك ولهفتك هل أنا مريض ؟

قالت هيفاء بأعلى صوتها يا أبى يا أبى أسرع لقد عاد جلال وفى دقائق كان معظم أهل القرية حولى وسألتهم فى تعجب ماذا حدث بالله عليكم إن عقلى متوقف تماما ؟!

وأخذنى الشيخ وابنته خارج الدار إلى الهواء الطلق وأجلسونى وأحضرت بعض الفلاحات القائمات على الخدمة بالمنزل حليب الماعز دافئا محلى بالعسل وقالت اشرب يا سيد جلال سوف يدفئك الحليب وستزول الغمة بإذن الله .واستطرد الشيخ قائلاً لقد كنت فى غيبوبة يا بنى أكثر من ثلاثة أسابيع وأحضرنا لك الشيوخ وبعض الأطباء وكانت هيفاء ابنتى تقوم على رعايتك ليلاً ونهاراً ورددّت فى نفسى نعم إنى كلما انتبهت قليلاً أجدها بجوارى وأراها تصلى وأسمعها تدعو نعم نعم لقد رأيت ذلك . وقلت للشيخ لكن يا عماه أنا أتذكر أنى وصديقى أحمد حضرنا لزيارتك وشعرت بارتفاع حرارتى قليلاً وطلبت أسبرين وشاى ونمت بالدور العلوى فماذا حدث بعد ذلك ؟ وابتسم الشيخ قائلاً حدثت حرب يا بنى حرب شرسة اشترك بها كل أهل البلدة والبلاد المجاورة والشيوخ والأطفال وكنت أنت القائد ونحن الجنود ومن الله عليك بالنصر العظيم ، وبعدها ذهبت عنا فى غيبوبة طويلة والآن أنت عدت فحاول أن تهدأ وسوف تتذكر كل شيء .

أحضروا الفطور وجلس معظم الناس حولى كانت وليمة وليس فطوراً كعادة هيفاء فى الترحيب بضيوفها والكل يأكل بشهية مرتفعة وهم سعداء فرحين خاصة هيفاء التى كانت مرحة جميلة ترتدى طرحة بيضاء وملابسها نظيفة وابتسامتها تنبع من قلب طاهر . وترويت قليلاً وأخذت أتعمق داخل عقلى ونفسى وكيانى وأغمضت عينى وتلاحقت الصور بذاكرتى كعادتى دائما ومر كل شيء أمامى كشريط للسينما ، من أول مقابلتى للشيوخ والتميمة والمصحف الذى أرتديه . ووضعت يدى أتحسس رقبتى وفعلاً وجدتهم حول رقبتى إذاً أنا لم أكن أحلم أو محموماً أو مريضاً فالحقيقة أنى أحرقت شيطان أهداب وطهرت روحها منه وعادت لى ذاكرتى فى الحال وأخذت أهنئ الناس جميعاً وأخبرونى بأنهم دفنوا جثة أهداب بمقابر عائلتها ، وابتسمت بسرور عظيم لانتصارنا بفضل الله على الشر حتى لو كان فى صورة شيطان . وقلت للشيخ حمداً لله لقد وفيت بوعدى وكنت عند حسن ظنكم ، وتهلل وجه الجميع وأخذوا يشكرون الله بصوت عال ثم توضئنا جميعاً وصلينا صلاة

شكر لله الذى أنقذنا ونصرنا ، وقال الشيخ اترك الماضى يا جلال إنساه كله يكفيك أننا أصبحنا أهلك . وفجأة وجدت أحمد ينزل من السيارة مسرعاً قائلاً حمداً لله على سلامتك قد أبلغونى بشفائك ورجوعك للحياة فحضرت على الفور وقبلنى وقبلته . كان سلاماً حاراً امتزجت فيه الدموع بالفرح للم الشمل مرة أخرى وقال الشيخ أمام كل الحاضرين: يا جلال يشهد الله على أنى أخطبك لابنتى هيفاء وستكون لها الزوج الصالح وستكون ابنتى الزوجة المحبة الوفية. قال لى بعض الأطفال لقد كنا نسمع نداءك علي هيفاء كل يوم وأنت مريض تقول يا هيفاء يا هيفاء أين أنت وضحك الجميع وخجلت عندما سمعت ذلك.. لقد انكشف حبى الذى أكنه فى صدرى للعزيزة هيفاء.. وفرحت بكلمات الأطفال البسيطة التى جعلت هيفاء تخجل وتنكس رأسها والكل يهنئنا بسعادة بالغة ، وقلت إنه لشرف عظيم لى يا والدى فأنت من الآن والدى وسوف أسوى كل شئونى بعملى وأطلب إجازة مفتوحة وأعود لأعيش هنا معكم أزرع وأفلح الأرض وأتاجر مع أحمد وستكون لنا

أحسن المنتجات. وبإذن الله سأقدم المهر الذى يليق بفتاتى والشبكة التى تليق بنزاهتها وعفتها وصبرها وأدعو أهلى ليحضروا هذا الزواج الميمون. إلا أن هيفاء همست بشيء فى أذن والدها جعل الشيخ عبد الكريم يمتعض قليلاً ثم قال: لك ذلك يا جلال وسنقرأ الفاتحة بعد أيام. وقلت بسرعة: لماذا نقرأها بعد أيام وليس الآن ، قال سنترك لهيفاء متسع من الوقت لتوافق بنفسها لأنها غاضبة لأنى أنا الذى طلبت أن تتزوجها ولم يكن طلبك . فقلت بسرعة والله يا عماه لقد كنت أنا الذى سأبدأ بذلك الطلب لو صبرت على دقائق قليلة فهيفاء من الوهلة الأولى تركت بصمة جميلة فى قلبى. قال الشيخ إنها لم تعرف بعد مدى حبك لها لأنك كنت محباً شغوفاً لأهداب ، وأسرعت قائلاً أتغار هيفاء من أهداب التى قتلت من عشر سنوات . قال الشيخ إنها المرأة يا بنى المرأة فى كل زمان ومكان، قلت حسناً سأترككم جميعاً وأعود إلى المدينة حالاً فلا يصح وجودى معكم بعد هذا ، وعندما تهدأ نفسها وتوافق أبلغنى لأعود وأقدم قلبى وحبى وإخلاصى لها . لكن الشيخ عبد الكريم قال لا يا جلال . أنت

معنا معزز مكرم وستذهب هيفاء لبيت عمتها حتى تستقر على رأى فلن نتركك ترحل عنا فأنا صممت على أن أكون جداً لأولادك وسيكونوا أحفادى غصباً عنك وعنها وابتسمنا ووافقت على رغبته . ومرت الأيام ولم أسمع كلمة من هيفاء ، كانت الأيام تمر بطيئة وأنا متعجل لسماع موافقتها إنى فعلاً أحبها أحب جمالها الهادئ والعقل والحكمة والقوة والمهارة فى الحديث وأحب فيها شقاوة عينيها وطعم أكلها الجميل ، أحب طهارة نفسها وإيمانها بالله ، أحب الأصل والعائلة وقلت يا رب لا تخذلنى هذه المرة وارتشفت قليلاً من النعناع الدافئ وجاءتنى فكرة فذهبت وأحضرت بعض الورق وقلماً وجلست اكتب لها . هيفاء الحبيبة . وجدتك صادقة صديقة صدوق . وجدتك نورا لكل شروق . وجدتك خليلة حبيبة عشيقة . وجدتك زهرة وسط الصخور .حديثك ملاذ ولذة لذيذة . وصوتك تغريد وغنوة طروب . فى بعدك ذبلت كل الورود . وبقربك فرح لكل القلوب . أحبك أما وابنة وحفيدة . أنت الثانية والساعة والدقيقة . وجودك رحمة ودفء وحنان . ده إنتِ زمانى وعمرى اللى جاى .

برجوعك الشمس تدفى المكان . وبصمتك معنى لكل حقيقة . أتمنى صفاتك تكون النساء . فعودى إلى يا أغلى حبيبة . جلال .

وأرسلت الرسالة مع أختها الصغيرة إلى بيت عمتها . وقرأتها وبكت كثيراً عندما قرأتها كما أخبرتنى أختها وفى المساء جاءت وتقابلنا وكأننا عشنا العمر كله نحلم بهذه اللحظة وبسرعة قلت للشيخ عبد الكريم أتسمح لى بأن أطلب يد هيفاء أخلص فتاة فى الدنيا ورد الشيخ بسرعة نعم وأباركما يا بنى وانطلقت الزغاريد والاحتفالات والفرحة فى كل بيت وتم كل شيء بسرعة وتزوجنا وزال النحس وزال الهم واقترنت بالانسانة التى كنت أحلم بها دائماً ، وأنجبت لى ولدين أسميتهما عبد الكريم وأحمد تيمناً بأسماء أعز اثنين لدى وعشت بهذه القرية التى شهدت الأمهات فيها أيام كثيرة حزينة والتى بفضل الله عادت البسمة

والفرحة إليهن ومحيت دموع الحزن من عيونهن المقهورة على الشباب الذين ذهبوا ضحية الشيطان وعمت القلوب السعادة وكنت أرى نظرة الاحترام من كبار البلد ومسئوليها واتفقنا جميعاً على أن نشيد مسجداً فوق التل بدل البيت الذى شهد الحرب بينى وبين الشيطان وفعلاً تم ذلك بسرعة فائقة وكان مسجدا كبيرا . وخلعت المصحف من رقبتى المصحف الذى أهدته لى هيفاء وشهد معى المعركة كلها وعلقته على باب المسجد وكان أهل القرية يصعدوا للصلاة بالمسجد الذى أصبح مكاناً طاهراً تجلجل به كلمة الحق سبحانه فى كل حين . وعشت أنعم بحب أسرتى والبلد وصديقى وأولادى وانتهت قصتى مع أهداب وشيطان والتل وأحداثه المثيرة . ويظل الخير هو الخير فى كل الوجود والشر نستعين عليه بقدرة الله وعظمته.

ويظل وراء كل مغريات الدنيا الخاطئة شيطان نتربص له بالإيمان بالله الذى ينصرنا حتى لو هاجمتنا أقوى كائنات الأرض .

بقلم : هدى عامر